وزارة التّعليم العالي والبحث العلمي

MINISTÈRE DE L'ENSEIGNEMENT SUPERIEUR ET DE LA RECHERCHE SCIENTIFIQUE

ⴰⵢⵏⵜⵉⵙⵏⴰⵎⵓⵔ ⵏ ⵜⵣⵔⴼⵜ ⴷ ⵜⵥⵔⵉⵜ ⵜⵉⵙⵙⵏⵉⵜⵜ

ⵜⴰⵎⴰⵡⴰⵙⵜ ⵎⵓⵍⵓⴷ ⵎⵎⴰⵔⵉ ⵜⵉⵣⵉ ⵡⵣⵓ

جامعة مولود معمري - تيزي وزو
كلية الآداب واللّغات
قسم اللّغة العربية وآدابها
رقم الترتيب.....
الرقم التسلسلي.....

UNIVERSITÉ MOULOUD MAMMERI DE TIZI–OUZOU
FACULTÉ DES LETTRES ET DES LANGUES
Département de Langue et littérature Arabes

مذكرة تخرّج لنيل شهادة الماستر

الميدان: لغة وأدب عربي
الفرع: دراسات أدبية
التخصص: أدب حديث ومعاصر

عنوان المذكرة

المكونات الثقافية في رواية "بيت الخريف" لسامية بن دريس

إعداد الطالبتين:

نادية إوعلالن

أمينة بن تشقال

إشراف الأستاذ:

مصطفى درواش

لجنة المناقشة:

أ/ بوعلام إقلولي ، أستاذ مساعدا "أ"، جامعة مولود معمري تيزي وزو.....رئيسا.

أ/ د. مصطفى درواش، أستاذ التعليم العالي، جامعة مولود معمري تيزي وزو.....مشرفاومقررا.

أ / تسعديت قوراري، أستاذة مساعدة "أ"، جامعة مولود معمري تيزي وزو.....ممتحنة.

السنة الجامعية: 2019/2018

بسم الله الرحمن الرحيم

شكر وعرفان

نشكر الله تعالى على النعم الكثيرة التي أنعمها علينا، لنعم العلم أن أنارت دربنا، ويسرت أمرنا نحمده ونشكره ونسأله الهداية والغفران.

إلى شمعة من شموع الأدب التي أضاءت بنورها عالم الإبداع الروائي الجزائري الروائية «سامية بن دريس»

نشكر الأستاذ «مصطفى درواش» الفاضل على كرم جهده ومعلوماته القيمة الذّي تعاهدنا برعايته العلمية، وفضل بالإشراف على مذكرة الماستر، فلولا توجيهاته الشديدة ونصائحه العلمية وصيره وسعة صدره معنا و ما أعطانا إياه من وقته الثمين بعد الله عز وجل، لما اكتمل بنيان هذا العمل فجزاه الله عنّا وعن طلاب العلم خير جزاء.

نشّكر أساتذة قسم الآداب واللّغة العربية وبالأخص الأستاذة «سامية داودي» دون أن ننسى لجنة المناقشة.

الامتنان الكبير والشّكر الجزيل.

إهداء

أهدي عملي :

إلى الذي زرع في نفسي ينبوع العطاء، والمثابرة. وشجعني أحسن تشجيع من أجل التقدم إلى الأمام والمواصلة في دربي، فهذا أبي العزيز والغالي على قلبي أطال اللّه في عمره، بمزيد من الصحة والعافية.

دون أن أنسى التي سهرت الليالي وشقت وتعبت من أجل راحتي وغمرتني بحنانها وحبها الذي أعطني القوة لأواصل وأحقق ثمرة جهدي أمي الغالية شكرا.

إلى أختي أخواتي وزوجاتهم الذين أعتبرهم قدوة في حياتي، وجعلوني أعرف معنى التعب من أجل العلم، حيث أن هذا الأخير هو الفوز الذي سوف ينير طريقي.

إلى كل صديقاتي وأصدقائي الذين تشاركنا معهم عبئ هذا العمل، فكلنا يد واحدة نساند بعضنا البعض لمواصلة المشوار حتى ننال النجاح بعد الشقاء والعناء.

نادية

إهداء

بسم اللّه الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين.

أما بعد أتقدم بهذا العمل إلى:

من جعل اللّه شكرهما من شكره ورضاه من رضاه.

إلى من وضعت تحت قدميها الحنان فكانت سر السعادة ونبع الحنان ومنبع الأمان: إليك أمي الغالية حفظك الله وأطال عمرك

إلى الذي كان في دربي المعين بدعواته، إلى الذي لم يبخل بشيء من أجل دفعي في طريق النجاح إلى الذي علمني أن أرتقي سلم الحياة بحكمة وصبر إلى روح الفقيد والدي الذي لم أشبع منه بعد أسكنه الله فسيح جناته أمين

إلى أخواتي: ظريفة، نادية، فازية ، زاهية ،ديهية .

إلى أخي: أعمر وأبنائه محمد، أحسن.

إلى زوجي وحبيبي: عبد الملك وعائلته الكريمة.

إلى كل العائلة صغيرهم وكبيرهم

إلى الصديقات والأصدقاء

إلى كل من حملته ذاكرتي ولم تحمله مذكرتنا.

امينة

خطة البحث:

المدخل: حضور الموروث الشعبي قي الرواية الجزائرية المعاصرة

1- مفهوم الرواية

2- نشأة الرواية الجزائرية

3- الرواية الجزائرية المعاصرة.

4-مفهوم الموروث الشعبي.

5- توظيف الموروث الشعبي في الرواية الجزائرية.

الفصل الأول: **مظاهر الهوية الثقافية :**

المبحث الأول: **التراث المادي :**

- الأكلات الشعبية
- ا لـ حـ لـي والمجوهرات

المبحث الثاني : **التراث اللامادي :**

- العرف
- العادات و التقاليد
- المعتقدات الشعبية
- الفنون الشعبية

الفصل الثاني : التناصات الثقافية:

المبحث الأول:

- مفهوم التناص
- مفهوم الثقافة
- علاقة التناص بالثقافة

المبحث الثاني:

- الأمثال الشعبية
- الحكايات الشعبية والخرافية
- اللغة العامية
- الخطاب الشعري

مقدمة

يلعب التراث دورا هاما في حياة الفرد أو الجماعة، فهو سمة بارزة من ثقافته وكيانه الاجتماعي. كما يرمز إلى أصالته ويعد مقوم هاما من مقومات الشخصية الجزائرية، لأنه موروث شعبي متناقل ومتوارث، لما فيه من قيم ومفاهيم ثرية يستفيد منها الإنسان.

يعدّ التراث رافدا من روافد الهوية الثقافية للمجتمع. لأنه يعكس التراكم الفكري والثقافي والسلوكي للشعوب من خلال ما أبدعته الجماعة من قصص، وأمثال، وعادات، وتقاليد. وبهذا شغل مساحة واسعة في مختلف الأجناس الأدبية.

فالرواية من بين هذه الأجناس التي توغلت في تفاصيله وجسدته في مختلف مقتطفات نصوصها، فأصبحت فن يربط أحداثه ووقائعه بالعالم الاجتماعي والثقافي للفرد، فمنه تستمد الرواية موضوعاتها ومميزاتها المتنوعة.

إن الرواية الجزائرية بالخصوص. استطاعت أن تواكب التطورات وتصبح جنسا له أهمية على الرغم من الظروف القاسية التي مرت بها.

يعد العنوان الذّي وقع عليه اختيارنا (المكونات الثقافية لرواية بيت الخريف لسامية بن دريس)، موضوعا إشكاليا، لأنه يتخذ من مدوّنة روائية جزائرية أداته لمعرفة قدر الجهد الذّي يناقش قضية جوهرية في ثقافة الأمة، وأنماط تفكيرها وسلوكياتها التي تحتاج إلى التبرير. جاء اختيارنا للموضوع رغبة منا في اختبار قدراتنا الخاصة في تحليل نص سردي روائي من التراث الشعبي الجزائري. وإصرارنا على التعرف أكثر على ملامح الحياة الاجتماعية والثقافية التي تزخر بها رواية (بيت الخريف) ورغبة التعرف على القضايا التي رصدتها فيها.

وتتمثل إشكاليات البحث في التالي:

لماذا لجأت الروائية في عملها الإبداعي إلى توظيف التراث؟

ما مكونات هذا الموروث؟ وماهي دوافعه؟ وماهي غاياته وأهدافه؟ وماهي العلاقة القائمة بين التراث والعمل الروائي؟ وطرق تجسيده في الرواية؟

للإجابة على هذه الإشكاليات، اقتضت الضرورة تقسيم بحثنا إلى مدخل وفصلين وخاتمة.

تناولنا في المدخل الذّي اخترنا له عنوان (حضور الموروث الشعبي في الرواية الجزائرية المعاصرة) للبحث عن درجة حضور التراث في الرواية وفعاليته وأدواته وصلته بالهوية الوطنية.

خصصنا الفصل الأول الموسوم بعنوان (مظاهر الهوية الثقافية) لدراسة التراث المادي والتراث اللامادي.

أما الفصل الثاني والخاص (بالتناصات الثقافية)، فقد تناولنا فيه مختلف االتناصات التي وظفتها المدونة ويتميز هذا العنصر بالتنوع والتعدد والاختلاف من حيث الأصول والمعارف.

واقتضت طبيعة البحث اعتماد المنهج الاجتماعي والسياقات الثقافية كأداة لتبرير قراءة المدونة وقد اعتمدنا على المصادر والمراجع نعتقد أنها على صلة وثيقة بموضوع المدونة، نذكر منها:

1)-الأدب الجزائري المكتوب بلسان الفرنسي، لأحمد منور.

2)-اتجاهات الرواية الجزائرية لواسيني الأعرج .

3)- توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ، لمحمد رياض وتار.

- وفي الأخير نشير إلى أنه واجهتنا مجموعة من الصعوبات أبرزها:

- عدم توافر المراجع اللازمة ما جعلنا نلجأ إلى استخدام تقنيات أخرى كالمصادر الهامشية والانترنت.

في الختام، نتقدم بالشكر الجزيل لكل من ساعدنا على إنجاز هذا البحث من قريب أو من بعيد، وبالخصوص أستاذنا الكريم (مصطفى درواش) .

ولا يفوتنا أن نتقدم بالشكر إلى أعضاء لجنة المناقشة على ما بذلوه من جهد في قراءة هذه المذكرة وتقويمها.

مدخل

حضور الموروث الشعبي في الرواية الجزائرية المعاصرة

مفهوم الرواية:

عرف الباحثون والدارسون الرواية أنها فن من الفنون الأدبية، وجنس مستحدث في الثقافة العربية تضم في سلسلتها مجموعة مختلفة من الأجناس الأدبية كالشعر والنثر والمقامة، والرسائل والخطب والبلاغة، وبذلك تتشكل أمام القارئ مما يعسر تعريفها تعريفا جامعا مانعا، كما استدل (عبد المالك مرتاض) "**الأصل من مادة روى في اللغة العربية هو جريان الماء، أو جودة بغزارة، أو ظهوره تحت أي شكل من الأشكال أو نقله من حال إلى حال أخرى فالرواية عالم تسديد التعقيد متناهي التركيب، متداخل الأصول. إنها جنس سردي منثور لأنها ابنة الملحمة والشعر الغنائي والأدب الشفوي ذي الطبيعة السردية جميعا**"[1] هذا التداخل اضحى ميزة السرد الروائي، إزاء عمل يحتاج إلى جهد ونظرا في القراءة والتحليل وحتى في بناء التصور وإصدار الأفكار.

الرواية جنس أدبي نثري خيالي يعتمد السرد والحكي، تجتمع فيه مكونات متداخلة أهمها الأحداث والشخصيات والزمان والمكان، والرؤية الروائية، وهذا ما تؤكده (عائشة بن يحي الحكمى) في قولها: "**لابد أن ننظر إلى الرواية على أنها أدب، ولهذا الأدب طبيعة ومهمة محددة، وهي أن يكون على صلة معترف بها مع الحياة، يمكن أن يسمو بالحياة أو الاستهزاء بها أو مناقضتها. فالأدب في كل الحالات انتقاء من الحياة، ذو طبيعة نوعية هادفة**"[2].

تعبر الرواية تعبيرا صادقا عن الواقع الإنساني وما يحدث فيه من خفايا، حسب وجهة نظر الكاتب الذي يستمد لغته من لغة عامة الناس، لأنها تعبر عن أصواتهم وهمومهم، "**الرواية تسمح على خلاف الأنواع على النثرية الأخرى في الأدب بالتصوير المتسع للعالم**

[1]– عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، 1998، ص 12

[2]– عائشة بنت يحي الحكمي، تعالق الرواية مع السيرة الذاتية (الإبداع السردي أنموذجا)، دار الثقافة للنشر، القاهرة، ط1، 2006، ص59

الداخلي للشخصية، وأيضا لحياتهم وبيئتهم ومعيشتها، ولأن الرواية تستطيع أن تمزج بين مختلف وجهات النظر، ووسائل التصوير المتنوعة من جهة، ويبين تصوير جوانب السامية من جهة أخرى، أصبحت بذلك أكثر أشكال الفن الأدبي تصوير المراحل التاريخ الإنساني...[1].

الحديث عن الرواية يختلف فتسلسل الأحداث يكون بشكل واسع وعام وشامل أشبه ما يكون بانعكاس صورة من صور الحياة الحقيقية في شكل كتابات تصور الواقع ككل، وان كنا نتساءل عن تاريخ إنساني فمقامه سيكون في الرواية وبين أحداثها.

إن الرواية هي بمثابة محور العلاقة بين الذات والعالم، وبين الحلم والواقع، وهي الخطاب الاجتماعي والسياسي والإيديولوجي دائما ناحية حشد من الأسئلة التي تأخذ من الإنسان والطبيعة والتاريخ محاور موضوعاتها، لتعيده اليهم رؤى ووعي وبنى جديدة، تضيء وتصنع له أثرا تحدد به طريقة الخلاص وحدود العالم ونظرا للمعاني التي اتخذها عبر مسيرتها التاريخية، لكونها جنسا أدبيا متغير المقومات وتداخلها مع الأجناس الأخرى انه من الصعب إيجاد تعريف دقيق خاص به، لكن هذا لا يعنى أن البحث عن مفهومها في غاية الصعوبة بل هناك العديد من الدارسين الذين تعرضوا لمفهومها، ومنه هذا التحديد المقارن الذي يؤكد أنها "**فن نثري تخيلي طويل نسبيا بالقياس إلى فن القصة**"[2] لاسيما امنه فن سرد الأحداث والقصص، تضم شخصيات تختلف انفعالاتها وصفاتها، هيمنت بتقنياتها اعلى فنون الأدب النثري أنها اكبر حداثة في الشكل والمضمون، تحتوي على أصول وشروط، تعرفت عليها الثقافة العربية في بداية القرن الماضي وتمت ترجمة الروايات بمختلف بيئاتها وثقافاتها.

---

[1]– مكارم الغمري، الرواية الروسية في القرن التاسع عشر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ط4، 1981، ص12

[2]– علي نجيب إبراهيم، جماليات الرواية، دار الحوار للنشر، سوريا، ط1، 1987، ص36

نشأة الرواية الجزائرية:

لا يمكن تناول نشأة وتطور الرواية الجزائرية بمعزل عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية القاسية التي عاشها الشعب الجزائري قرابة 132 عاما من الزمن تحت نير الاحتلال الفرنسي الذي استعمل كل ما يستطيع من أدوات التعذيب والنهب والقمع والاستبداد، والظلم. في حق هذا الشعب المظلوم راح ضحيته مليون ونصف شهيد، وظل يقاوم ويجاهد من اجل استرجاع حقوقه وحريته حيث ناضل وقاوم بالسلاح والقلم للخروج من هذا الظلام، وعدم السماح له المساس بهوية الشعب الثقافية والأدبية التي ستظل عنصرا رئيسيا في وجوده، فلكل هذه الأسباب والظروف التي عاشتها الجزائر أدت إلى تأخر ظهور الرواية حيث أن الكتاب والروائيين تأثروا بها، وكان همهم الوحيد هو إيجاد طريقة لطرد الاستعمار من أراضيهم وتحقيق الاستقلال واسترجاع الحرية.

في السبعينات ظهرت بعض المحاولات منها ما قام به (عبد الحميد بن هدوقة) و(الطاهر وطار) و(مرزاق بقطاش)، حيث ساهموا في تطوير الرواية فجسدت الواقع المرير والمؤلم وكما ظهرت في فترة ما بين (1920–1945) محاولات قليلة في الكتابة الروائية تمثلت في رواية (زهرة امرأة عامل المنجم) و(ليلى فتاة جزائرية) لجميلة دباش ورواية (بولنوار الفتى الجزائري) لرابح زباني.

إن الروايات التي سبق ذكرها هي محاولات اتسمت بالتذبذب والضعف ولم تظف شيئا جديدا حيث عرفها الدارسون بأنها مجرد محاولات تدخل في صنف العمل القصصي.

يعود الظهور الحقيقي للرواية الجزائرية بهذه التسمية إلى أول رواية (الأرض والدم) لمولود فرعون وتبعتها رواية (نجل الفقير) 1956 صور فيها الأوضاع الاجتماعية وقضايا النضال واظهر الطبقات الفقيرة في المجتمع الجزائري و(دروب الوعرة) 1957 كما التحق بها الروائي والكاتب "محمد ديب" في رواية ((الدار الكبيرة) وفي الفترة نفسها تظهر أعمال

روائية أخرى لمولود معمري في (الربوة المنسية) وغيرها من الأعمال التي تأخرت في الظهور على الساحة الأدبية وتعتمد على ترسيخ الأفكار وتعميق المبادئ والقيم الأخلاقية التي يتمتع بها المجتمع الجزائري[1]

إن الرواية أداة لغوية فاعلة في تسليط الضوء المضمر والمحافظة على التراث الشعبي كالعادات والتقاليد والعرف، التي حاول المستعمر الفرنسي تجريده منها وحرمانه من أدنى الحقوق، حيث يقوم الروائي في كتاباته بتوعية الشعب بمدى خطورة هذا الاستعمار الذي يحاول القضاء عليه وتدميره بكل الطرق.

أما بعد الاستقلال فلم يهتم الشعب بهذا الفن الأدبي حيث انصب الاهتمام اكثر عن الأوضاع السياسية والاجتماعية التي خلفها الاستعمار في هذه البلاد، بحيث عملت كل الأطوار على إعادة بناء الوطن، واسترجاع مكانته وحرمته بين بلدان العالم، ترك الكتاب والرواة الكتابة والتدوين لهذا السبب، ولهذا لم يكن هناك عدد كبير من الروايات في هذه الفترة من الزمن.

لا احد ينكر أن هناك روايات جزائرية مكتوبة بلغة المستعمر مثل روايات (مولود فرعون) و(محمد ديب) و(مولود معمري) وهي من الأدب الجزائري و"**الطابع العام لهذا الأدب يهتم بالواقع الجزائري وبالشعب وقاتلوا معه في خندق واحد، وعلى جبهة نضالية واحدة وهذا ما ضمن الحياة لهذا الأدب والبقاء والاستمرارية**"[2].

يبقى الأدب الجزائري المكتوب باللغة العربية له مكانة مميزة في مجال الرواية على الرغم من ظهور الأدب المكتوب بالفرنسية لكنه لم يفرض مشروعيته ولم يدخل الجزائريين في شباك المستعمر الذي حاول تغيير لغتهم الوطنية إلا أن إرادة الشعب حققت المستحيل،

[1]– ينظر: احمد منور، الأدب الجزائري المكتوب بلسان الفرنسي (نشأته، وتطوره وقضاياه)، دار التنوير للنشر والتوزيع، ط1 ،2013، ص103

[2]– واسيني الأعرج اتجاهات الرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986، ص77

فكان أدبا جديدا يحمل في طياته الروح الجزائرية، واستطاع تجاوز الواقع المر الذي مرت به الجزائر وتحقيق ثراء فنيا خلال فترة زمنية محدودة.

لكن أدبهم هذا، خارج عن نطاق المستعمر حيث رفضوا الهيمنة التي حاول من خلالها إغراءهم ماديا وترسيخ أفكار فرنسية. من حيث الثقافة، والقيم الأخلاقية والارتباط باللسان الفرنسي كان أدبهم نقيا.

تقاربت الآراء حول الكتابة الجزائرية، فهناك من يقول أنها ظهرت على يد (محمد عابد الجيلالي) سنة 1935 و ردها آخرون إلى (أحمد رضا حوحو)في (غادة أو القرى). جسدت هذه النصوص عذاب المنزل والسجن، وتناول أيضا كل أشكال الاستغلال والحرمان وهو أول نص عربي تحدث عن وضع المرأة وهناك رواية (الطالب المنكوب) 1951 لـ (عبد المجيد الشافعي) صور فيها حياة الطالب بتونس قصة غرامية مع فتاة سيطر عليها حبها.و رواية (الحريق) لنور الدين بوجدرة. ورواية (صوت الغرام) لمحمد منبع و(رمانة) للطاهر وطار، أين صورت نتائج الفقر والوضعية المأساوية[1]. كل هذه الروايات كان موضوعها الرئيسي الأوضاع الاجتماعية المتمثلة في الفقر والضعف جاءت كلها مرآة عاكسة لواقع الشعب الجزائري ومجتمعه.

اقتحم الروائيون قراءات كثيرة للحدث المأساوي بما فيه من مشاهد إرهابية (تطرف، دم، رصاص، تخريب) وردت بعض الروايات في صور غير مباشرة تخفي من ورائها حقائق ومواقف رهيبة، كما نلاحظ في رواية (ذاكرة الجسد) لأحلام مستغانمي في المهلة الأولى يفكر القارئ أنها تتحدث عن أوجاع ذاتية وشخصية بسبب فقدان ذراعه، و لكن الحقيقة أن الذراع فقدها في حرب التحرير وهذا من اجل إخراج المستعمر من أراضيه بكل السبل الممكنة حتى ولو كلف ذلك حياته. فالهوية والوطن والحرية كانت الهدف الأساسي، رواية

[1]– ينظر: أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر ط5، 2007، ص197.

تتضمن العديد من القضايا والموضوعات، وتتشكل أمام القارئ تحت الف شكل مما يصعب تعريفها تعريفا جامعا[1].

أصبحت لرواية الجزائية مكانة عالية واستطاعت الوصول إلى نفس التطورات مع الروايات الغربية، وهذا بفضل جهود الروائيين والكتاب الجزائريين الذين تغلبوا بقلمهم على الظلم والاستبداد.

الرواية الجزائرية المعاصرة:

تطورت الرواية الجزائرية في ظل أحقاب زمانية طويلة من مرحلة الاستقلال إلى التسعينات من القرن الماضي، أصبح الروائي يتجاوز كل ما هو مألوف، وعمل على البحث في خبايا المجتمع، حيث تخطت كل النماذج القديمة ليقدم نظرة مغايرة لهذا الفن الأدبية وهذا يعني أن: "**الرواية الجديدة لم يعد لها عقد البداية، فهي حاضرة بقوة ولا تحتاج إلى غطاء خارجي لتقول أنها موجودة فالرواية الجديدة تهتم بالنص والمضمون الإبداعي اللغوي بشكل كبير، وتنظر للواقع بنظرة نقدية ذات بعد مع الاهتمام بتقنية السرد واللغة**"[2] .

يمكن القول أنها أصبحت تستخدم ألفاظا وعبارات جديدة غير التي كانت سابقا حيث تلجأ إلى ألفاظ مثل: القتل، المستعمر، القوة، لكن في الآونة الأخيرة واكبت حركة التطور وتماثلت مع معايير الخطاب الحديث، حيث أصبح الروائي يعطي أهمية للمضمون واللغة التي توحي إلى معان إنسانية ونفسية واجتماعية، لتقريب المعنى إلى المتلقي، وهذا باستعمال عنصر السرد: يسرد الأحداث بطريقة مباشرة دون اللجوء إلى إدراج الغموض والتلميحات.

---

[1]– ينظر: عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، (بحث في تقنيات السرد) سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998، ص11

[2]– حفيظة عياشي، الجزائر نيور، حوار اجري مع بشير مغني يوم 2012/01/29 وتم الرجوع إليه يوم 2019/07/12 على الساعة 20:00

شكلت الرواية الجزائرية المعاصرة مسارا مختلفا تبعا لوعي كتابها ومرجعياتهم المتنوعة، حيث عايشت المرحلة التاريخية وصورت الصراعات السياسية، وإن لكل عصر من العصور موضوعاته التي يختص بها ويلجأ إليها الروائي لإفصاحها وإظهارها على السطح، فأصبحت مواضيعهم يتحدثوا "**بصراحة عن كل شيء: الجنس، السياسة والسلطة والأخلاق، وأسرار الدولة والعائلة... والجنس**"[1].

عرفت الرواية الجزائرية الجديدة تغيرات وتحولات كثيرة، فحاولت أن تقدم نظرة جديدة للواقع الجزائري، حيث غير الروائيين من تقنيات الكتابة التي كانت سائد منذ العصور القديمة في الروايات التقليدية فحاولوا إدخال عناصر جديدة، كالزمن والحب والحبكة، الواقع والوصف والمكان، فأصبح هؤلاء يكتبون عن المشاكل الاجتماعية والثقافية.

نستطيع القول أن الرواية الجزائرية المعاصرة كانت صورة حية عن الواقع، بكل مقتضياته ومشاكله ولكن تبقى جذورها متصلة بالماضي من حيث التراث والهوية الثقافية.

يعد موضوع التراث الشعبي موضوعا مهما، وثروة من الآداب والقيم والعادات والتقاليد والمعارف والفنون التشكيلية والموسيقية، أصبح التراث موضوعا واسعا في أوساط المفكرين والمثقفين ومدى انعكاسه على الحياة المعاصرة التي يعيشها الإنسان من هنا نتساءل: ما مفهوم التراث الشعبي؟

مفهوم الموروث الشعبي:

هو كل موروث ثقافي واجتماعي ومادي، سواء كان مكتوبا أو شفويا وصل إلينا من الماضي البعيد أو القريب، يشترك فيه الجميع، فهو على هذا الأساس "**كل ما ورثناه تاريخيا**"[2] من خلال هذا التعريف يتضح أن مفهوم الموروث هو ذلك الشيء المتبقي من

[1]– احمد اسعد سامية، في الأدب الفرنسي المعاصر، الهيئة المصرية النعامة، القاهرة، 1978، ص14

[2]– محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة ،اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2000، ص20

أثر الماضي، سواء أكان ماديا ملموسا أو معنويا محسوسا، وهو ما يترك للأجيال المتتابعة، تداوله فيما بينها، حفاظا من الزوال، وان صح القول فهو ما يعبر عن ثقافة أمة من الأمم ورصيدها الذي يميزها عن غيرها.

يقول احمد صالح رشدي: "**إن التراث الشعبي ينبعث من صميم الحياة اليومية للناس، ويستمد موضوعاته ونظراته من مظاهر حياتهم المختلفة، وعمل أجيال عديدة للبشرية من ضروريات حياتها وعلاقتها من أفراح وأحزان، وأساس التراث الشعبي قريب من الأرض التي تشقها الفؤوس، أما شكله النهائي من صنع الجماهير المغمورة المجهولة أولئك الذين يصنعون الواقع**"[1]. فالتراث الشعبي هو ما يجمع مظاهر الناس التي يتشاركونها، ويستمد مادته من أفراح وأحزان هؤلاء الأشخاص كونه المنبع الذي يصب فيه الأفراد ما يتوارثونه.

يقول **(محمد رياض وتار) إن كل ما هو معلوم مؤلفه لا يدخل في التراث الشعبي**" [2]

نستخلص من هذا القول أن عادات الناس وتقاليدهم، وما يعبرون عنه من آراء وأفكار ومشاعر يمثل الجزء الأكبر من التراث الشعبي على غرار الحكايات الشعبية مثل الأشعار والقصائد المتغنى بها وقصص الجن الشعبية وقصص البطولية والأساطير، ويشمل أيضا الفنون والحرف وأنواع الرقص واللعب والأغاني، والأمثال والاحتفالات والأعياد الدينية. وهذا النوع عندما يضيع من الذاكرة باعتباره شفويا يفقد، ويتعرض للنسيان والتغيير، وليس كالمدون الذي يسهل حفظه، ونقله على مر العصور: "**فهو بذلك حافظة الماضي ووعيه وذاكرته، كما سجلته عقول ذلك الماضي من فلاسفة ومفكرين وأدباء وعلماء وفنانين وغيرهم ومع ذلك فإن التراث العميق لا يزال يعيش فينا بشكل أو بآخر، وان لم ندرك ذلك**

[1]– احمد صالح رشدي، الأدب الشعبي ، دار المعرفة للنشر، بيروت، ط1 ،1954، ص05

[2]– محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة، ص11

تمام الإدراك"[1]. حقا أن التراث الشعبي مرتبط منذ نشأته بالإنسان، كونه يعبر عن كل ما قام به إذ هو بمثابة الظل الذي يرافقه ويتطور بتطوره كما يساعده على التمسك بتلك القيم السامية التي ورثها من الأجداد والحفاظ عليها واجب.

توظيف الموروث الشعبي في الرواية الجزائرية:

إن توظيف التراث الشعبي في الرواية الجزائرية له أهمية كبيرة كونه يتعلق بماضي هذه الأمة، ويمثل مكونا أساسيا ورثها الشخص من السابقين، كما انه عنصر مهم في هويته، فيكمن الهدف الحقيقي في ذلك في الدعوة إلى التمسك بثوابت الأمة الجزائرية، فلقد زاد لرواية دلالة ومعنى، فالتراث هو "**مجموعة المعارف والمهارات والقيم التي تنتقل من جيل إلى آخر، وفي أية أمة. فالأمة التي لا تراث لها هي أمة بلا جذور تصلها بماضيها، وقد تكون بلا مستقبل فالحفاظ على التراث هو حفاظ على الهوية... و لقد بدأ الأدباء في الجزائر يتعرفون على قيمة التراث منذ زمن قريب، وساعدهم ذلك ترسيخ تجربتهم في الرواية**"[2].

وبالتالي فإن التراث الشعبي أو ما يسمى أيضا بالموروث الشعبي ضروري في حياة الفرد، لأنه من اقوى المظاهر التي تميز الثقافات المختلفة والكتابة عنه هي ظاهرة منتشرة لأنها تعكس ترابط البشر برؤيتهم الخاصة للعالم. ويعتبر جزءا مهما من تاريخ وثقافة الشعوب لأنه الوعاء الذي يستمد منه، لغته وأفكاره.

تطرق الكتاب الجزائريون إلى دمج التراث الشعبي ضمن رواياتهم نذكر منهم: عبد الحميد بن هدوقة، عبد الحميد بورايو، حمدان خوجة، بلحيا طاهر، أبو القاسم سعد الله، عبد المالك مرتاض، نبيلة إبراهيم، دون أن ننسى الكاتب العظيم مولود فرعون. و بها يكون مستودع

---

[1]– فاروق احمد مصطفى ومرفت العشماوي عثمان، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط1،2008، ص21

[2]– عبد الحميد بوسماحة، توظيف التراث الشعبي من روايات عبد الحميد ابن هدوقة، ص36

يمكن أن نستمد منه الكثير من البواعث، والمنطلقات الحضارية والنفسية والروحية، التي تحفز طاقتنا الجديدة لتصب في مجرى الإبداع. فهو يشجع المجتمعات العربية على الاستمرار والتواصل لما يزخر به من الألوان الشعبية بما فيها الأساطير الحكايات الشعبية، فالعودة إلى التراث الشعبي يعد أمرا هاما في الرواية الجزائرية، فقد نال إقبالا عظيما من طرف الناس. ويمثل البديل الخيالي للواقع. كونه مرتبط بثقافتهم وعاداتهم. ويساهم في بناء الأمة والمجتمع. والرواية الجزائرية تبنت أساليب مختلفة من السرد والوصف والحوار لتعرضه على المتلقي [1] .

حيث نجد أنها أدمجته ضمن مواضيعها ومجالاتها، فهو جوهر لا يمكن الاستغناء عنه مهما تكن الظروف، لكونه يشكل الركيزة الأساسية التي تقوم عليها المجتمعات، "**ذلك الموروث الذي تركه الأسلاف لخلائفهم من بعدهم. وهو ذو طابع فكري وثقافي أكثر منه مادي، فهو جزء أساسي من قوامه الاجتماعي، والخلقي يوثق علاقته بالأجيال المختلفة**"[2]. فأصبح حيزا مهما في الإبداع الروائي لدى عدد كبير من الكتاب الجزائريين.

[1]– ينظر: جعفر بابوش، الأدب الجزائري الجديد التجربة والمال، مركز البحث في الأنثروبولوجيا، وهران، 2006، ص12

–جبور عبد النور، المعجم الأدبي ، ط2، دار العلم الماليين ، بيروت، 1981، ص 63

2

الفصل الأول:
مظاهر الهوية الثقافية

المبحث الأول: التراث المادي

1-الأكلات الشعبية

2- الحلي و المجوهرات

المبحث الثاني: التراث اللامادي

1-العرف

2-العادات والتقاليد

3-المعتقدات الشعبية

4-الفنون الشعبية

الهوية الثقافية: تعرف الهوية الثقافية على أنها مجموعة من الملامح، والأشكال الثقافية الأساسية الثابتة. لهذا فهي تعني التناسق بين العقل والهوية عن طريق نبذ التعصب والتطرف العرقي والطائفي في شتى صوره وأشكاله، وتعرف أيضا على أنها مركب متجانس من التصورات والذكريات، القيم، الإبداعات لشخص ما أو مجموعة ما، وهذه المجموعة تشكل أمة بهويتها وحضارتها التّي تختلف من مكان لآخر. فالهوية الثقافية إذن عبارة عن عدد من التراكمات الثقافية والمعرفية سواء كانت تلك المعارف تأتي انطلاقا من تقاليد وعادات في العائلة والمجتمع المحيط به، عاشها الفرد منذ لحظة ميلاده، فكانت الأساس في تكوينه طيلة أيام حياته، وأصبحت جزءا من طبيعته.

ونستنتج أنه بسبب تعدد الثقافات في العالم فإنه يستحيل تقديم مفهوم ثابت للهوية الثقافية، حيث تعمل كل ثقافة بصورة عفوية وتلقائية، أو بواسطة تدخل من أصحاب هذه الثقافة بهدف الحفاظ على مقوماتها، وكيانها الخاص، ومنها ما يميل إلى الانكماش والانغلاق، ونوع آخر من الثقافات يهدف إلى التوسع والانتشار، "**فهي الهوية الثقافية تغطي ثلاثة مستويات فردية، جماعية و وطنية أو قومية، بحيث يتم تحديد العلاقة بين هذه المستويات بنوع الآخر المواجه لها، والعلاقة بين أطراف الهوية الثقافية وهم الأفراد والجماعات والمجتمع أو الأمة تأخذ شكل المد والجزر**"[1]. والهوية عبارة عن كيان يمكن أن يتطور، ولا يمكن تحديدها كمعطى نهائي، حيث أنها يمكن أن تسير في اتّجاه الانكماش والتقلص أو باتجاه الانتشار، وتمتاز هذه الهوية بغناها الناتج عن تجارب أصحابها وكم المعاناة التي مروا بها ونجاحاتهم وانتصاراتهم وتطلعاتهم، إضافة إلى احتكاكها الإيجابي أو السلبي بالهوية الثقافية الأخرى التي تتداخل معها بشكل أو آخر. يمكن القول إن العلاقة الموجودة بين الهوية والثقافة علاقة الذات بالإنتاج الثقافي.

[1]– موقع ويكيبيديا ،مظاهر الهوية الثقافية ،تم التطلع عليه يوم الثلاثاء 2019/07/16، على الساعة 13.00.
مظاهر الهوية الثقافية، الموقع :(mawd003.com) HTPS.//or.n.wikipedia.org .

تختلف أنواع التراث الشعبي باعتباره تراكم متعدد المشارب، ثقافية، معمارية، اقتصادية، سياسية، تاريخية، مادية، لامادية.

1/ المبحث الأول: التراث المادي:

وهو عبارة عن مجموعة من الصور المادية الملموسة التّي صنعها الإنسان أو يستخدمها للتوافق مع البيئة، والتي كانت جزء من الحضارات والأجيال السابقة التي تجسد الماضي البشري، حيث تساعد الباحث على فحص الكثير من عناصر حياة الشعوب القديمة، بالنظر إلى طريقة عيشهم وثقافتهم التي تخضع دائما لعامل التغيير المستمر، والتي يسعى الإنسان لاكتسابها أو اختلاقها من أجل إشباع حاجته الأساسية التي تتمثل في حاجياته إلى العمارة بشكل عام كالمواقع الأثرية والمدن العنيفة والمتاحف الافتراضية والمباني والمنشآت ومختلف وسائل النقل والفنون الآداب، وهي ما يطلق عليها بالتراث الأدبي والفني، وتتمثل أيضا في الملابس والحلي والمجوهرات والمأكولات واللباس والصناعات الحرفية اليدوية....[1]

وأهم ما يميز الثقافة المادية هو أن مكوناتها رغم تنوعها واختلافها تختص بما لها من شكل أو مظهر فيزيقي أو وجود ملموس ومحسوس كمنتج من صنع الإنسان، وهذا التراث يشمل نوعين من الآثار يتمثل في:

- الآثار الثابتة: وهي الآثار التي لها صلة بالأرض سواء كانت في بطنها أو سطحها أو تحت المياه.
- الآثار غير الثابتة: وهي الآثار المنفصلة عن الأرض والتي يسهل نقلها من مكان إلى آخر كالمنحوتات والتماثيل والمباني المنقوشة.

[1] ينظر بلحيا الطاهر، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية، ص 12-14

مهما تكن هناك ثقافة مادية أو لامادية فهما وجهان لعملة واحدة وهي ثقافة المجتمع، حيث لا يمكن الفصل بينهما فكل منهما يؤثر ويتأثر بالآخر ويجب أن يكون هناك انسجام تام بين جانبي ونوعي الثقافة من أجل ثبات ورسوخ ودوام ثقافة المجتمع.

أ/ الأكلات الشعبية:

أصبح فن الطبخ فنا غنيا عن التعريف، حيث أن لكل مجتمع ثقافته في أكله، أي أن الأكل يعتبر مزيجا بالطبخ التقليدي والعصري، وكما أنه متعدد المذاق والطعم. تستعمل فيه بعض التوابل واللمسات السحرية بصفة مميزة، كون أن الإنسان الشعبي، لا يعطي أهمية كبيرة لنوعية الطعام الذي يأكله، بل يعتمد في ذلك على المأكولات الشعبية البسيطة ،وأهم هذه المأكولات:

***الكسكس** : يعتبر الكسكس أشهى الأطباق التقليدية التي تشتهر به الجزائر ويبدو أنه يستهلك بكثرة, في منطقة القبائل لما له من تأثير بالغ في العائلة، وهو طبق لا يخلو منه أي بيت قبائلي ،إذ يلعب دورا رئيسا في المائدة الجزائرية، ويكون في الأغلب مرفوقا باللحم خاصة في المناسبات كالأعياد والاحتفالات والأعراس .....ويكون أيضا مرفوقا بالخضار (لفوار)، وأيضا يأكلونه بالبن وغيره...

حيث في القديم لا يوجد دقيق في السوق وإنما يحصل عليه بعد زراعة القمح أو الشعير أو الذرى وتطحن الحبوب بالطحونة في البيت ،أما الآن فلقد تغير الحال وأصبح الدقيق متداول من سميد الذرة ، لهذا تلجأ ربات البيوت إلى شراء كيس كبير من السميد حيث يقومون ببرمه أي بتحويل حباته إلى حبات أكبر ،وتستخدم في ماء البرمة كمية من الملح لمنع من التسوس، وعادة ما تدعو جاراتها أو قريباتها لمساعدتها في هذه المهمة، خاصة في الأفراح والأعراس يجمعن فيما بينهم لمساعدة بعضهم وعلى ألسنتهم الغناء والمدائح والزغاريد، وتتجمع في المساء في حجرة الجلوس، ويفرشن مفرشا كبيرا ويحضرنا القصاع والغرابيل الخاصة بالكسكس، وأنية كبيرة الحجم تستخدم في المناسبات لطبخ

الكسكس، وهذا ما جاءت به الروائيةً (سامية بن دريس) بعض النماذج في روايتها وتقول :"**اختاري الكسكس أم نيتشه**".[1]

"**لن يأكل نيتشه الكسكس إلا إذا جاء كاتب كبير وأطعمه إياه...**"[2] من خلال ما سبق نجد أن التراث متواصل لا يتقصع إلا في مراحل ضيقة ومحدودة.

في التراث على أنه مجرد قديم وتقليد، لكنه في نص الرواية، وظف توظيفا تجاوز حد الاستهلاك، لأنه تحول إلى بديل مصطنع عن أشياء وراء المعرفة بالفكر والاجتهاد.

***الخبز(أغروم)**: يمثل الخبز في الجزائر سلطان المائدة أي وجبة لا يمكن الاستغناء عنها في المائدة الجزائرية عامة، وفي المنطقة القبائل خاصة، حيث يقوم المجتمع الجزائري باستهلاكه مع الطعام وأحيانا يأكلونه وحده. كما أن للخبز أنواع متعددة نذكر منها:

-الكسرة (ثمثونت):

وهي نوع آخر من أنواع الخبز، أي الخبز السائدة في منطقة الجزائر ولا ننسى خاصة منطقة القبائل المتواجد فيه بكثرة، حيث يتم تحظيره بطريقة بسيطة تقليدية، أي نقوم بدرس البلوط وطحن الشعير جيدا، ثم نأخذ قصعة ونمزجها ونضيف الملح وزيت الزيتون والماء ونخلطهم جميعا حتى نحصل على عجينة متماسكة، ثم نبسطها باليد داخل القصعة، ونضعها على الفرن لتطهى على الجهتين. لكن هناك طرق مختلفة لتحضير الكسرة في منطقة الجرائر.

كسرة الملة: وهي عبارة عن خبز قد يكون محشوا بخليط من الطماطم والفلفل والبصل ويستعمل معها الشحم وقد يكون غير محشو وتطهى على الجمر أو الفرن ثم يكون صالح

[1] سامية بن باديس، بيت الخريف، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018 ، ص 53.

[2]-المصدر نفسه، ص 54

للأكل وتقديمه خاصة للكبار العائلة. وهذا ما أوردته الروائية وتقول: "**الخبز مقدس يا صغيرتي وإلا لم نقبل كل قطعة خبز رماها أحد الحمقى في الطريق...** " [1]

بسبوسة : وهي نوع من الحلويات تعرف "بالمعسلة "عند أهل الجزائر وتقدم في الأيام العادية وفي المناسبات كالأعياد والأفراح والأفراح ،ويتم تحضيرها من الدقيق والفرينة والخميرة والبيض والزيت ثم يقوم بتفريغ هذا العجين في الصينية وتركه تتخمر ثم يطهى في الفرن. قدمت لنا سامية نموذج في هذا: "**فالمرأة تشبه الأدبية زهور ونيسي لم تكن محض امرأة تتقن إعداد المائدة وإسدال الستائر وصنع بسبوسة بالعسل....**"[2] ، ومن هنا نرى أن التراث الشعبي ثروة كبيرة من العادات والتقاليد والقيم والأعراف، ولكل مجتمع عادات خاصة به لا يمكن الاستغناء عنها لأنها عبارة عن توطيد الصلات بين أفراد المجتمع، وربطه بقيمة اجتماعية والنفسية وكذا الفنية، فهي لم تكن مجرد تعبير عن رغبته الإنسان فحسب، بل هي انعكاس لحياته الواقعية ما دامت الحياة متجددة ومستمرة.

الحلي والمجوهرات:

من الله سبحانه وتعالى على عباده بما أنزل إليهم من الزينة التي تحسن هيئاتهم وتشعرهم بمتعة الحياة ،فقال عزو جل في كتابه الكريم :"**قل من حرم زينة الله التي أخرج لعباده والطيبات من الرزق قل هي للذين امنوا في الحياة الدنيا خالصة يوم القيامة كذلك نفصل الآيات لقوم يعلمون** ".[3] ومن هنا يبين الله تعالى أن الزينة والطيبات قد من على عباده المؤمنين لينتفعوا بها ومن أجل الزينة التي تشمل الذهب والفضة والياقوت والجوهر ....أي نجد الله تعالى خلق للإنسان كل أسباب السعادة والهناء منها الحلي التي يتجمل بها، فالمرء مثلا تحب الجمال وتحب أن تحوز إعجاب زوجها حتى يراها في صورة تجذبه وتحببه

[1] سامية بن دريس ،بيت الخريف، ص52

[2]–المصدر نفسه، ص52

[3]– الأعراف ، الأية : 30

فيها ،فقول الرسول صلى الله عليه وسلم :**"ان الله جميل يحب الجمال "** [1] ومن هذا الحديث يبين أن الله يحب الجمال ففيه توجيه للمسلمين والمسلمات لكي يهتموا بجمال مظهرهم من حسن الهيئة كالحلي .

الحلي هي إضافات تزين مواضع معينة من الجسم وتكمل لباسه، لإظهار المكانة الاجتماعية أو لتأكيد الانتماء ،أو لمجرد تحسين لمظهر الإنسان لدى الآخرين وإضافة الجمال والبهجة على حاملة خاصة في الأفراح والمناسبات التي يلتمس فيها الناس سببا للزينة من الذهب والفضة، من خلال التعرض لمفهوم الحلي يمكن القول أنه مصوغات المعدن أو غيره التي وجب لتحسن المظهر وإضفاء البهجة والجمال وان كانت في أول استعمال لها كطلاسم وتمائم وتعاليق ،وجدت داخل المجتمع حيث انتقلت عبر الزمن من جيل إلى آخر ،وهذا الشعب سيشترك في رصيد أساسي من التراث .وبذلك نخلص إلى أن الحلي هي التراث المشترك الذي يربط أفراد الجماعة الاجتماعية .

أدرجت الكاتبة في مقتطفات روايتها مكونا من مكونات التراث اللامادي متمثلا في الحلي والمجوهرات، فهو رمز هاما في الحضارات والثقافات تصنع من المعادن كالنحاس فهي تستعمل من أجل الزينة والجمال من قبل فئة النساء خاصة، وهي متنوعة مثل الألماس، الذهب وتلبسها المرأة في المناسبات، والأعياد والاحتفالات .

يظهر ذلك في قول ماجدة و هي في جلسة مع الشعراء:

.... "من تلك التي تلبس عقد من اللؤلؤة"[2].

[1]– الحلي و أدوات الزمن التقليدي ، في بادية نجد من المملكة العربية السعودية نهائي ناصر العجاجي ،الثقافة النفسية ، العدد20، 2013، ص 136.

[2]– سامية بن دريس ، بيت الخريف ، دار ميم للنشر ، الجزائر ، ط1، 2018،ص28

فعقد اللؤلؤ من صنف المجوهرات التي تتشكل من حجارة كروية ملتصقة فيما بينها، و لقد لقبت ماجدة تلك المرأة بهذا الاسم لأنها أبهرتها بجمالها و خاصة عندما لبست ذلك العقد و لكي تصنفها عن بقية الجوقة .

2- المبحث الثاني: التراث اللامادي:

يعتبر التراث الثقافي اللامادي أحد مكونات الهوية الوطنية. وسمة من سمات أصالتها وحماية المسؤولية الجميع لأنه الثروة التي ورثتها من آبائنا وعلينا تسليمها للأبناء وهكذا على التوالي فهي تحقق الرابطة الموجودة بين الروح والجسد فتجعل جيل التواصل بين الأجيال وامتداد الفكري والثقافي فيما بينهم.

"**يقصد بالتراث الثقافي اللامادي الممارسات والتمثلات، والتعابير والمعارف والمهارات وكذا الآلات والأدوات والأشياء الاصطناعية والفضاءات الثقافية المرتبطة بها وهذا فالتراث الثقافي في اللامادي ينتقل من جيل إلى جيل، ويقع بعثه من جديد من قبل الجماعات، والمجموعات طبقا لبيئتهم وتفاعلهم مع الطبيعة ومع تاريخهم وهو يعطيهم الشعور بالهوية والاستمرار، بما يساهم في تطوير احترام التنوع الثقافي والإبداع الإنساني** "[1]

يمكن القول أن التراث اللامادي عنصر فعال وضروري في حياة كل إنسان بدونه يكون ضائعا بلا شخصية ولا هوية له تميزه عن الآخر، فلكل واحد منا تراث وقيمته الثقافية.

حافظت الذاكرة على التراث غير المادي أو ما يسمى أيضا بالتراث الشفوي، ومن خلالها يمكن أن نقرأ الماضي ونتعرف على أهم الأحداث التي جرى توثيقها وحفظها، إما عن طريق الأشعار والفنون الشعبية والأمثال والمعتقدات والعادات والتقاليد. فلما كانت الشعوب لم تعرف الكتابة والتدوين ساعد هذا النوع من التراث على الحفاظ على الثقافة بكل أنواعها، التي كان يرددها الأمراء والحكام والأساطير في القديم.

[1] موقع ويكيبديا، روائع التراث الشفهي اللامادي للإنسانية، ثم التطلع عليه يوم السبت 13جويلية 2019على الساعة 20:07 الموقع https ar.m.wikipededia.org :.

يكمن دور الذاكرة في تخزين هذا الكم الهائل من الأفكار الشفوية المتداولة بكثرة. ولطالما كان هذا التراث ركيزة أساسية في بناء الحضارة، فهو المعبر عن هويتها الثقافية لأنه روحها ومقوماتها وتاريخها، والأمة التي تتخلى عن تراثها تتخلى عن روحها، وتهدم مقوماتها وتعيش بلا تاريخ. فأهمية التراث اللامادي لا تكمن فقط في الحفاظ على هوية الشعوب من التمزق والتشتت، بل له دور في تعريفها بماضيها وبمقوماتها الشخصية .[1]

يخضع التراث اللامادي أو الشفوي إلى بناء تركيبي خاص ولغة تصلح لكل زمان ومكان لأنها تبقى راسخة في أذهان المتلقي عبر الأزمنة والعصور. ولا تتوقف عند مرحلة معينة بل تستمر لاستمرار حياة الإنسان معها. ويجعله سندا يتكل عليه في كل شيء ففي النهاية يمكن القول التراث الشفوي أداة ثقافية موروثة. فلإنسان إذا استوعب لغة الأم، فإنه استوعب نظامها وثقافتها المدونة فيها لأنه يكتسب لغته بالممارسة التي يحتاجها في كل العصور. نظرا لما يتعرض إليه هذا النوع من التراث الثقافي من تهديد وانقراض بفعل التغيرات العميقة في الاقتصاد والسياسة، لذلك يجب وضع قوانين وآليات لدعم هذا التراث الحي الأساسي لحفظ الهوية الثقافية للجماعات والشعوب:

"...**السلطة تسمح ببيان الدور الكبير الذي يقوم به التراث الشفوي في نقل القيم المختلفة (خلقية، اجتماعية، دينية،) عبر الأجيال مؤسسا لما يسمى بالذاكرة الجمعية والخيال الاجتماعي والمحافظ على الهوية الثقافية للمجتمعات، والشعوب كما من شأنها أن تكشف مكامن التواطؤ أو التحالف الخفي بين السلطة السياسية القائمة والثقافة العالمية ضد ما يسمى بالثقافة الشفوية**"[2].

[1] –ينظر ناصر الدين الأسد،التراث و المجتمع الجديد، مطبعة الغاني، بغداد ،1965،ص 11

[1] فارح مسرحي ،السلطة ورمزية التراث الشفوي ،الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية ،قسم العلوم الاجتماعية، باتنة1،العدد19جانفي 2018 ثم التطلع عليه 20جويلية 2019على الساعة 16:30الموقعyahoe @ fareh. M

فالتراث اللامادي أو الشفوي يمكن فهمه أنه الروح الحي للإنسانية فهو ينشأ مع ولادة الإنسان. فيغرس جذوره في أعماق التاريخ وتمددت عبر أحقاب زمنية طويلة لتكون بمثابة الهوية الوطنية لشعب الجزائري. وحتى الاستعمار الذي شك في هوية الجزائر استنجد ما بوسعه حتى يغير ويهدم هذا التراث، ولكن لم يستطع فهو تراث راسخ في عقول أصحابه فيمثل الماضي والحاضر والمستقبل ويظل يقاوم كل المحاولات النهب والتشويه التي تؤدي إلى استنزاف الذاكرة الجماعية والفردية للإنسانية .

فالزمن يمضي إلى غير رجعة ولا ينتظر أحد، ولا يستثنى منه شيء لكن كيفية التعامل معه هي الوسيلة المثلى من أجل حماية التراث اللامادي .

أ/ مفهوم العرف:

العرف عبارة عن القواعد والقوانين والمعايير الاجتماعية التي تعرف عليها عامة النّاس ونجده في كل مجالات الحياة الإنسانية، حيث يمكن أن يكون على شكل عادة اتفق عليها الناس، ولكن يمكن أن تتحول إلى قانون يطيق على المجرمين عند ارتكابهم المخالف أو السرقات، وهو عبارة عن معيار اجتماعي يمس كافة مجالات الحياة يمكن أن يتحول إلى قانون ظهر قديما لضبط القوانين وذلك قبل نشوء الدولة.

يقول الجرجاني في مفهوم العرف "**العرف ما استقرت النفوس عليه بشهادة العقول، وتلقته الطبائع بالقبول**"[1]. إذن العرف هو مفهوم فطري تواجد في الإنسان بحيث تميل النفوس إليه وتتمسك به. ويفعل التكرار والتعود يعود راسخا في أذهانهم .

وفي هذا الصدد يقول محمد مصطفى شبلي: "فالعرف إذا هو ما تعوده الناس أو جمع منهم وألقوه حتى استقرت في نفوسهم من فعل شاع بينهم أو لفظ كثر استعماله في المعنى خاص بحيث يتبادر منه عند إطلاقه دون الأصل "[2].

[1] السيد مهد نقي الحكيم، الأصول العامة للفقه المقارن، ط 2، مؤسسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر، الأندلس، 1969، ص419

[2] مهد مصطفى شلبي، أصول الفقه الإسلامي، دار النهضة العربية، مصر ، ط 1،1986، ص325

لذلك فهذا الفن تواجد منه القديم عند الأجداد ولكنه يختلف من مكان إلى آخر أو من منطقة إلى أخرى وكذلك من شخص إلى آخر وهذا الاختلاف يتمثل في مدى الاتفاق عليه من طرف الجماعة ويكون منتشرا فيما بينهم.

ظهر العرف في القديم كمصدر رئيسي يستعين به الناس لضبط القوانين فهو المصدر الوحيد للقانون في ظل الجماعة قبل نشوء الدولة. فنجد أنها أعطوا لها مكانة عالية في المجتمع وحياتهم اليومية. وأصبح عنصر من عناصر التراث الشعبي لهم وتوارثها عن الأجداد والأسلاف.

يجب أن تتوفر في العرف عنصرين وهما العنصر المادي الذي يتمثل في مجموعة من التصرفات والأفعال التي تجمع وتشمل كل روابط اجتماعية التي يسود فيها الثبات والاستقرار

أما العنصر الثاني يتمثل العنصر المعنوي الذي يقوم على ما توارثوه عن السالفين ويجب الالتزام به دون تركه يضيع .

لقد ظهر هذا الفن في التراث الجزائري حيث أن المشرع يطبق القوانين التي هي على شكل مواد ينص عليها القاضي. يستهله عند الاحتياط والضرورة: "**ذكر المشرع الجزائري في المادة الأولى من القانون المدني مبادئ القانون الطبيعي وقواعد العدالة كمصدر يمكن أن يلجأ إليه القاضي عندما لا يجد قاعدة يطبقها.لا في التشريع، ولا في المصدرين الاحتياطيين المدروسين سابقا أي مبادئ الشريعة الإسلامية والعرف** "[1]

ندرك أن العرف يمكن أن يعتبر المصدر الاحتياطي للقانون لهذا نجده أنه شغل مكانة قوية في مختلف أطراف الحياة الجزائرية.

اهتمت الروائية الجزائرية سامية بن دريس في روايتها "بيت الخريف "بالتراث اللامادي حيث أدرجت بعض أنواعه منها :

[1] موقع : المصادر الاحتياطية للقانون، السنة الأولىLMD ،قسم البحوث العلمية والمذكرات ،تم التطلع عليه 8سبتمبر على الساعة01:33 الموقع :.hmps//eddirasa.com/ohoumsthrms

عنصر العرف:

ويظهر في عنوان (العرجاء) حيث كانت المرأة تحكي قصتها لماجدة عن السبب الذي جعلها تصبح عرجاء،هي تلك الأيام التي كانت تضني فيها وسط النساء عن الصحة والحب واليتم وفجأت جاءتها رصاصة من أخيها حيث تقول:

".....هل تعتقدين أنني ولدت بعاهة العرج المستديم؟

لقد كانت ضربة شرف.

كنت قد بدأت أغني في مجتمع النساء وكان صوتي حديث الحي كان البعض يبكي والبعض يرقص، كنت أغني حول الصحة واليتم والحب، كانت الأغنية الراوية القادمة من الهضاب تثير شهوتي:

-يا الصحة يا الصحة يا عدوة مولاها.

-كلي يا الدودة كلي كلي لحمي وعضايا

-اليوم المحشر يا نبينا واحضر.

في لحظة النشوة الكبرى انطلقت رصاصة من بندقية أخي وأصابت رجلي اليمنى، ... دخل أخي السجن... لكن خرجت بلقب أكرهه العرجاء، لم تكن العودة إلى البيت ممكنة...إلخ"[1].

يظهر عنصر العرف في هذه الأسطر في إطلاق الأخ الرصاص على أخته رافضا الغناء، لأن الغناء يخل بمبادئ المجتمع والفرد الذي لا طالما رفض هذا النوع من الفنون بالتالي لم تستقر نفوس البشر وكما أن العرف لا يلبي إرادة الجماعة. لاعتبار الغناء يصدر من شخص واحد على عكس مفهوم العرف فهو يمثل ضمير الجماعة. فهو قانون أكثر شعبية من التشريع لأنه صادر من الشعب يلعب دور بارزا في حيات الفرد الجزائري، إذ

[1] -سامية بن دريس، بيت الخريف، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1،2018، ص156.

يعتمد عليه في الضروريات الاجتماعية التي تفرض وجوده كمصدر رئيسي للقواعد القانونية فيجعلها صالحة لكل زمان ومكان فلا يمكن التخلي عنه لأنه يعتبر من مقومات الأساسية.

ب / العادات والتقاليد:

تطورت الثقافة الشعبية الجزائرية بشكل ملفت للانتباه. حيث تعدد وتنوع موروثها الثقافي في شتى المجالات، بسبب حفاظها على هويتها الثقافية القديمة في سلوك أفرادها وجماعاتها رغم حركيتها المستمرة لمواكبة التطور، ولكن مقوماتها الذاتية والشخصية لم تغيرها. والمتمثلة في العادات والتقاليد التي هي مجموعة من الأفعال والأساليب والسلوكيات المكتسبة التي يتوارثها الخلف عن السلف وترتبط بزمان ومكان معينين:

"**السلوك يتحول إلى عادة عندما يثبت من خلال عدة أجيال، ويتوسع وينمو ومن ثم يكتسب سلطانا** "[1].

فيمكن القول إنها جزء لا يتجزأ من حياة الفرد ومن كيان المجتمع فهي إحدى المقومات الأساسية للمجتمع الجزائري بحيث ساهمت في أشكال التواصل بين الماضي والحاضر، وتساعد على إحياء الأمجاد بمكوناتها التراثية العريقة التي كادت تنسى وتمحى من الوجود فبفضل فعل التكرار والتعود وممارستها في كل مرة أصبحت راسخة في التفكير على مرور الأيام والعصور.

تمارس العادات والتقاليد في ظل الجماعة سواء من الناحية الاجتماعية أو الاقتصادية أو السياسية أو الأخلاقية، لذلك نجد أن "**ثقافة الجماعة تقاس بمقدار ما لديها من عادات وتقاليد في كافة مجالات الحياة، لما تتضمنه من قيمة مادية وروحية هامة** "[2].

[1] – محمد الجوهري ،علم الفلكلور ،دراسات في الإثنوغرافيا الثقافية ،دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ،1986 ص68

[2] محمد الجوهري ،علم الفلكور، لدراسة في الاثنوغرافيا الثقافية) الجزء الأول ، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، الكتاب السابع عشر،،ط 6، 2004،ص 55

من سمات المميزة لعادات والتقاليد أن تقام في ظل الجماعة فلا يمكن للفرد الواحد أن يقوم بهذا الفن لوحده فهي علاقة تدور بين شخصين.

" **المجتمع الجزائري غني بالعادات والتقاليد وهي تمثل رمز أصالته وامتداد جذوره في التاريخ البعيد. فلكل طريقته وأسلوبه في ممارستها. وهي تختلف من بلد لأخرى ومن فئة لأخرى يعتبر سكان الجنوب العادات والتقاليد مرآة عاكسة لمقوماتهم الشخصية والفكرية، كما يعتبرونها منبعا للفخر والاعتزاز** "[1].

وبهذا فإن الجزائر لها عادات وتقاليد تختلف باختلاف المنطقة والجهة.

لقد أولت الروائية الجزائرية (سامية بن دريس) في روايتها اهتماما كبيرا بالعادات والتقاليد الشعبية لمجتمع الجزائري التي تعتبر جزء من تراثه الشعبي.و تمثل سلطته الغير المكتوبة التي تحتوي أفعال الناس. من جميع النواحي وما رصدته في محتوى هذه الرواية نذكر منها:

"...**تحول مجلس النساء نهرا من الموسيقى والصخب والضحكات .....والرقصات، ... لقد غنت في سن الرابعة أغنية زليخة** "[2].

وهي تدل على ما تقوم بها العائلات الجزائرية في الأعراس والحفلات بالغناء والرقص وتتجمع النساء مع بعضهن وتتبادل أطراف الحديث.

فهي عادة شائعة في التراث الشعبي الجزائري بكثرة تدل على الفرح والسرور والسعادة في هذا اليوم العظيم، أين نبدأ الحياة الجديدة.

استعمل جملة: " **كان يا ما كان في سالف العصر والأوان** "[3]

---

[1] موقع وبكتيريا ،عادات وتقاليد سكان الجنوب الجزائري ،ثم التطلع عليه يوم الأربعاء 2019/08/14 على الساعة 22:47 الموقع

Rttps://ar.m.wikipedia.ag.

[2] سامية بن دريس، رواية بيت الخريف، دار ميم لنشر، الجزائر، ط 1، 2018،ص21

[3] المصدر نفسه ص32

بكثرة في الحكاية القديمة والتراثية، فهي عبارة عن عادات تعود الأجداد عن استعمالها دون وعي وبطريقة عفوية.

- **عادة الاعتناء بالأولاد:**

لم تستطع بن دريس التخلي عن عنصر العائلة في هذه الرواية التي تمثل النواة والعنصر الهام في تكوين المجتمع، والأمة فمثل الأم التي تحن وتخاف على أولادها في أحسن صورة فهي عمود كل بيت، حيث تسأل وتهتم بكل صغيرة وكبيرة في أفراد أسرتها وتحاول دائما التقرب منهم، ومشاركتهم في جميع ظروفهم، في قولها:

"...**لأنها في مرأة المنصبة بين عينيها، تراهم في كل وقت متخلقين حول مائدة العشاء يثرثرون كالعادة، هل درست جيدا يا مراد؟**

وأنت كيف كان يومك يا محمد؟

ألم توبخك المعلمة يا زينب؟

ها هي وجودهم تحت الضوء مثل نهار مشرق "[1]

هذه الأسئلة كلها ترددها الأم على أولادها، وهذا خوفا عليهم وليحسوا بحنانها وعطفها وأنها بجانبهم من أجل مساعدتهم في كل الأشياء التي هم بحاجة إليها في هذه الحياة، فالأم هي الركيزة الأساسية، والعمود الذي تبنى عليه الأسرة فلا يمكن الاستغناء عليها وتعويضها

- **عادة الاحتفال بالأعياد:**

أدرجت الروائية الجزائرية ضمت روايتها عادة الاحتفال بالأعياد والفرحة التي يشعر بها الأطفال وهم دائرين حول صحن الحناء والشموع و رائحة البخار الزكية التي تفوح في كل أرجاء البيت في قولها:"...**كيف كانوا يحتفلون عشية العيد الصغير و العيد الكبير و المولد النبوي حول صحن الحناء والشموع المتلألئة بألوانها الزهرية الصفراء...**

[1] – سامية بن دريس ، بيت الخريف ، ص 48.

كيف كانت رائحة البخور تفوح من الطرق .....

تتذكر رائحتهم وتسمع صراخهم وترى دموعهم وتتأكد أنهم أحياء يكبرون تحت جناحيها"[1]

عمدت الروائية إلى استخدام السرد والوصف في هذه المقاطع أين تصف الأطفال والشموع ورائحة البخور وكما تجدها أنها ذكرت أشياء موجود ة في ابسط البيوت الجزائرية

و بهذا ندرك أنها عضو في هذا المجتمع و يمكن بهذا الوصف أرجعت إلى عالمها الطفولي كيف كانت تتصرف فأسقطتها على الرواية لتشكل نوع من البراءة والطفولية فيها .

- **عادة رفع الخبز من الأرض:**

إن لكل المجتمعات مجموعة كبيرة من العادات والتقاليد التي تتشارك مع غيرها ولكن هناك تفاصيل صغيرة تختلف فيها مثلا في طريقة أدائها بناءا على أن لكل منها خصوصيات تنفرد بها: "**وتمتاز العادات والتقاليد بقدرتها وقوتها المعيارية فهي تتطلب امتثالا جماعيا وقبولا وموافقة اجتماعية قد تصل في بعض الأحيان إلى حد الطاعة المطلقة، وتختلف العادات والتقاليد من مجتمع إلى آخر، كما أنها تتغير بتغير الكون** "[2]

وهذا ما نجده منتشرا بكثرة في التراث الشعبي الجزائري فلكل منطقة لها عاداتها وتقاليدها تتميز بها عن البقية وبما أن الروائية **(سامية بن دريس)** جزائرية فلقد تطرقت وعمدنا في روايتها إلى توظيف بعض العادات والتقاليد المتواجدة بكثرة والتي نعتاد على القيام بها لأننا ورثناها عن الأجداد، فأدخلت عادة رفع الخبز من الأرض في إحدى المقتطفات، حينما كانت تتجادل مع رئيسة المكتبة عن موضوع أحد الكتب فقالت لها:

[1] – سامية بن دريس، بيت الخريف، دار ميم للنشر، الجزائر ، ط1، 2018، ص 50.

[2] فاروق أحمد مصطفى ومرقت العشاوي ،دراسات في التراث الشعبي ، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية، ط 1، 2008، ص198

"بمعنى آخر، اليوم، خذي الكتاب وبعدها تعالي لنتحدث، لا يمكنني الشرح أكثر، أنا لا أقامر بخبز أبنائي، الخبز مقدس يا صغيرتي وإلا لم تقبل كل قطعة خبز رماها أحد الحمقى في الطريق ونرفعها فوق رف أو صخرة، أليس في ذلك اعتراف بقداسة الخبز؟

وبعظمة النعمة التي أسبغها الله علينا؟

ربما الخوف من زوال نعمة الله علينا هي التي تدفعنا لمثل هذا التصرف.

إذا سأقول لك اليوم خبز وغدا ماذا تعرفين؟![1]

وبهذا ندرك أن ظاهرة رفع الخبز هي عادة نقوم بها بطريقة عفوية وتلقائية دون سابق تفكير بحيث أنها راسخة في العقل أنه –الخبز–مأخذ مقدس خلقه الله تعالى على عباده وهو عادة غذائية قديمة ولكل بلد له نوع من الخبز الذي يستهلكه فيختلف باختلاف البلد وعاداته إلا أن رمزه يظل موحد في التراث والتاريخ والتقاليد الاجتماعية فتبقى علاقته مع الحياة علاقة عميقة ووطيدة ويرجع سبب رفع الخبز من الأرض باعتباره له علاقة بالأرض فمن النبات الذي نبت في الأرض وجب احترامه، وعدم الإلقاء به في الطريق أو المزبلة، و يكون من تقاليدنا الجزائرية. رفعه و تقبيله ووضعه على جنب خوفا من أن يدوسه احد و أن يكون طريقة للشخص تقديم الشكر والثناء للقدير عز وجل، فهي حسنة نقوم بها، وهو احترام خلق الله تعالى.

- **مراسيم الجنازة:**

يتعرض كل إنسان منا إلى الإحساس بالظلم والقهر والحزن والألم خاصة عندما يتعلق الأمر بمسألة الموت التي تتمثل في زوال الحياة على وجه الأرض وهي مرحلة أو قضية يشترك فيها كل البشر مهما كان لونه أو نسبه أو شخصيته أو ظروفه المادية فجعل الله تعالى الإنسان سواسية مثل أسنان المشط.

[1] سامية بن دريس ،بيت الخريف، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1، 2018 ،ص54 ،ص55.

وهذا الشعور بالوحدة والحزن أوردته الروائية في هذه الرواية في عنوان سمته "لقاء " وهذا يظهر في الحديث الذي الحديث الذي جرى بين أمينة المكتبة وماجدة عندما تحكي لها –ماجدة –عن حياتها وعن وفاة أمها هذه المرأة العظيمة التي كانت كل حياتها وفرحتها وسرورها، كانت كل شيء بالنسبة إليها فقالت ماجدة:

"**أذكره عن وفاة أمي،...، فليلة دفن أمي أي ليلة المغسل– كما نسميها – وبينما كان الرجال يتحلقون حول حفظة القرآن الكريم، وهم يرتلون أجزاء منه على روحها الغائبة عن البيت،...وحزن مصطنع إنه قانون الحياة،..وتناهت أصوات المرتلين كرجع أنات بعيدة: إن إلى ربك الرجعى أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى، أرأيت إن كان على الهدى أوامر بالتقوى، أرأيت إن كذب وتولى ألم يعلم بأن الله يرى، كلا لئن لم ينته لنسفعا بالناصية ناصية كاذبة خاطئة، فليدع ناديه ستدعو الزبانية، كلا لا تطعه واسجد وأقترب**"[1]

إن لكل ميت الحق في إتباع جنازته أهله والقيام بكل ما يلزم من أجله. وهذا يعتبر جزءا من الأدب الشعبي فمنذ القديم كان هناك جماعة من الناس يتلون القرآن الكريم على الميت ويدعون له بالرحمة، وأن تنام روحه بسلام ويعطي الصبر والسلوان، لأهله فمن الأرض ولدنا وإليها نعود فلكل واحد منا دوره فلا يبقى فيها –الأرض–إلا الله تعالى القادر على كل شيء فيقابل الإنسان ربه بالحسنات والأعمال الجيدة، ص حتى ينال الجنة والمكانة الرفيعة

- **الحياة الاجتماعية للمرأة :**

تتميز المرأة بأنها جزءا لا ينفصل بأي حال من الأحوال من كيان المجتمع بل هي مكون أساسي وضروري فيه وعليه تبنى الحياة لذلك نجدها أنها شغلت عبر العصور أدوار مهمة سواء ما يتعلق بالجانب السياسي والاقتصادي والاجتماعي فاستطاعت بذلك أن تنافس الرجل في بعض المجالات، ولكن يبقى مجال الاعتناء بالأسرة احد الواجبات الضرورية التي

[1] سامية بن دريس ،بيت الخريف ، ص72 ص73 .

لا يمكن للمرأة الاستغناء عنها، فنجد ذلك في الرواية التي عمدت إليها الروائية سامية بن دريس التي تحدثت عن المرأة وعن الأمور التي تمارسها داخل بيتها من الطرز والخياطة وتنظيف البيوت، حيث تقول : "**الحياة الثقافية والاجتماعية، حياة الحريم داخل أسوار البيوت، الطرز والخياطة والستائر المترقرقة من النوافذ ،الشموع نظافة البيوت، والبخور الذي يعطرها رائحة الخزامي والياسمين والقرنفل المنبعث من ثغور النساء والمسك من صدورهن الأطفال الذين يحملون الألواح المكتوبة بالصمغ ويتوجهون إلى الجوامع القريبة لحفظ القرآن**"[1].

وبالتالي فإن الحياة الاجتماعية للمرأة داخل بيتها تعتبر ركيزة الأسرة التي بدونها يختل نظامها، فهي المربية الأولى لأفرادها والموجهة لسلوكياتهم وكما تحرص دائما على نظافة وترتيب منزلها لتحقيق الراحة، فعلاوة على أشغال المنزل نجدها تعطي أهمية كبيرة لذاتها

ونفسها، وتعتبر ميزة من ميزات التراث الشعبي الجزائري الأصيل.

ج/ المعتقدات الشعبية :

ظلت المعتقدات الشعبية رافد من روافد المجتمع، ومع مرور الزمن، أصبحت تلعب دورا مهما في ترسيخ جزء من ثقافة الأفراد وتوجيه سلوكياتهم وترسيخها في أذهانهم.

هذا العنصر يتواجد بكثرة في المجتمع الجزائري، يصل إلى درجة الإيمان به والتخلي عن العقل الذي به يستطيع الإنسان التمييز بين الصحيح والخطأ. ونلاحظ تنوع وتعدد هذا المفهوم، فأصبح لكل شيء له معتقداته وخرافاته التي يخلقها الإنسان من العدم، فالمعتقدات الشعبية بعثت في نفوس الأفراد عن طريق الكشف، والرؤيا. فهي "**كامنة في أعماق النفس الإنسانية موجودة في كل مكان، سواء عند الريفيين أو الحضر، وعند غير المثقفين، والذين بلغوا مرتبة عالية من العلم والثقافة بدرجات متفاوتة، فكل منا يؤمن بها ويمارسها**

[1] المصدر نفسه ،ص95

سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة لأنها أصبحت عن الموروث الشعبي الذي تعلمناه من الأجداد"[1]

يعد عنصار من عناصر الهوية الثقافية للفرد والمجتمع ويمكن التخلي عنها. وتبقى جزء من ثقافة المجتمع الجزائري. وفي حياة الفرد حيث يوجه سلوكياته وهذا ما تطرق إليه **(أحمد رشيد صالح)** حيث قال: "**ومهما يكن من أمر فإنه لمن العسر العسير الإحاطة بجميع معتقدات أي مجتمع. نظرا لكونها مخبأة في صدور الناس، فهي لا تلقن من الآخرين ولكنها تختصر في صدور أصحابها، وتشكل صورة يلعب فيها الخيال الشعبي دوره ليعطيها طابعا خاصا**" [2].

ومن هنا ندرك أن المعتقدات الشعبية يدخل فيها عنصر الخيال الذي يقوم عن تصور امر وأشياء غير موجودة في الواقع.

ولحد الآن لا يزال بعض الناس يؤمنون بها رغم تطور العلم والمعرفة مثل ظاهرة زيارة المقابر والإيمان بالأولياء الصالحين، والاعتقاد بالجن والشياطين فكل هذه الأمور تؤثر على حياتهم ووجودهم، فتبقى من الفنون التي تصعب دراستها بسبب تمسكها ونشأتها في ظل فطرة الإنسان وتؤثر في مشاعره وأحاسيسه الداخلية.

يعرفه (فراس السواح) في كتابه (دين الإنسان): "**انه أول أشكال التعبيرات الجمعية عن الخبرة الدينية الفردية التي خرجت منها حيز الانفعال العاطفي إلى حيز التأمل الذهني، ويبدو أن توصيل الخبرة الدينية إلى تكوين معتقد هو حاجة سسيولوجية ماسة، لأن المعتقد هو الذي يعطي للخبرة الدينية شكلها المعقول**" [3]

---

[1]– ينظر: الجوهري محمد، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، دار الكتاب للتوزيع، القاهرة، ط1، 1978 ص42

[2]– احمد رشيد صالح، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1971، ص121.

[3]– فراس السواح، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، دار علاء الدين، دمشق، ط4،2002، ص47

فالمعتقدات الشعبية هي التعابير المميزة التي تخرج عن نطاق الدين والعقل الذي يحكم في الأشياء والأمور، قد تتجسد داخل ذهن الإنسان من أفكار خرافية حول أمور لا توجد في الأصل. وهذا ما يذكره (محمد الجوهري) في قوله: "**هي تلك الأفكار والأحاسيس التي تحرك الناس إزاء الظواهر الطبيعية العادية والشاذة كتصورات الناس عن الزلزال والبرق والخسوف...الخ. وكذلك تصورات الناس عن أسرار بعض الظواهر الفيزيقية والنفسية كالأحلام والنوم والميلاد والولادة والخلاص والموت ورؤية المستقبل**"[1]

فهي كل ما يؤمن به الفرد والجماعة فيما يتعلق بمجريات الحياة والوجود والكون والقوى الخارجية عن سيطرة الإنسان، وقد تكون هذه المعتقدات صحيحة في جانب من الجوانب أو خاطئة بسبب عدم تقبله للعقل البشري.

تطرقت الروائية (سامية بن دريس) في روايتها إلى دراسة وتوظيف المعتقدات الشعبية التي تشكل جزء من عادات الشعوب ورمزا من رموز ثقافتها وقطعة من كيانها.

- **معتقد العين الحاسدة أو عين المحبة:**

تعتبر ظاهرة العين الحاسدة أو المحبة من أكثر أنواع المعتقدات الشعبية التي تظهر في المجتمع الجزائري والتي يذهب البعض إلى استخدام مختلف الوسائل والإمكانيات من اجل تفاديها أو القضاء عليها.

وتختلف هذه العين، هناك عين حاسدة التي يقوم الشخص بالنظر إليك بطريقة حاسدة فيتغير سلوك الفرد فيصبح متوترا أو عدوانيا أو يبكي بدون سبب، وهذا خاصة عند الأطفال الصغار.، أما النوع الثاني من العين هي عين المحبة، هي اصعبها من الأول ى بسبب مخلفاتها على الشخص لأنه يمكن أن يمرض جراءها وتصيبه حمى، وهذا ما نجده في رواية بيت الخريف، حيث أصيبت ماجدة في طفولتها بالعين، بسبب جمالها وروعة ابتسامتها التي

[1]–محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبة، دار الكتاب، القاهرة، ج1، ط1، 1978، ص45

أعجبت بها كل النساء في قولها:"... **تحول مجلس النساء إلى نهر من الموسيقى والصخب والضحكات، لقد غنت في سن الرابعة أغنية زوليخة... لكنها قضت ليلتها باكية تشكي من حكة في فرجها،... في الصباح توجهت جدتها عند الطالب، فكتب لها تميمة التيمي تعتبر من المعتقدات الشعبية الشائعة وبعدها قرأ لها شيئا من القرآن في قارورة من الماء وطلب من أمها أن تدهن جسدها بها وتنشر حولها بعض الملح والكمون ببساطة قد أصابتها عين محبة لا أكثر...**"[1].

يمكن القول إن الرواية عالجت في هذا العنصر اهم شيء يملكه الإنسان في الجسم وهي العين التي يرى بها الإنسان الأشياء والمظاهر والأحداث، فإذا لم يستخدمها في الأمر الذي هيأت له أصبحت عليه نقمة تضر الآخرين الذين يحيطون به، كما في هذا المقطع أين أصبحت العين سبب حزن ومرض ماجدة، لأن النساء نظرنا إليها بإعجاب ومحبة، ولكن للأسف أصبحت المحبة عكس ذلك نظرة مرض وهلاك للفتاة التي لا ذنب لها حيث أن الله تعالى خلقها بتلك الصفات، وذلك الجمال والابتسامة التي تبهر كل من ينظر إليها.

ولكن يظهر عنصر المعتقدات الشعبية بكثرة بذهاب الجدة إلى الراقي أو الطالب، فهي معتقدات قديمة لا أساس لها من الصحة، فما أدرجه الله تعالى في عبده لا يمكن أن يحذفه الملح أو الكمون، فهي شيء من الخرافة فيمكن للقرآن الكريم أن يتخلص منه وذلك بفضل الآيات، ولكن التميمات التي كتبها الطالب للعجوزة ليست حقيقية، ولا يتقبلها العقل ولا الدين.

أدرجت الروائية عنصر آخر من نفس المعتقدات المتمثلة في القصص القديمة والتراثية التي كان الأجداد يرويها للأطفال الصغار قبل النوم، الذين يمثلون حسب ماجدة رمز للضعف والبراءة في قول الجدة أنها ستروي للفتاة قصة الحظ والذكاء أو حكاية الطيب وصاحب الحيلة فاختارت الفتاة قصة الحظ والذكاء .

[1]–سامية بن دريس، بيت الخريف، دار ميم للنشر ، الجزائر، ط1، 2018 ، ص21 ص22.

كما ذكرت في الرواية :"**كان بإمكان في سالف العصر والأوان في قرية بعيدة منبع من الماء احتلته ثعبان عظيم، حاول أهل القرية قتله، واستعملوا حيلا كثيرة منها الدخان والصمغ، والعصا والحجارة والسيوف فالثعبان متغول لا يمكن لاحد قهره إلا فارس سيء أتي من بلاد الشمس...**"[1] إن هذه القصة تحمل عدة عبارات وحكم منها قبول القبيلة بالظلم وخسارة بناتها عوضا من مكافحة الثعبان والقضاء عليه.

وهذه القصة تذكرنا عموما على العصر الجاهلي الذي كان يتميز به في قتل الفتيات وقمعها من أدنى حقوقها في الحياة ودفنها وهن أحياء، بحيث كانوا يظنون أن الفتاة هي عار وعبأ ثقيل على عائلتها فلا يجب تركها تعيش وتفضيل عنصر الرجل عليهن فهو يمثل القوة والشجاعة والشهامة في المجتمع، وكما أن في الحكاية هناك معتقد أن الثعبان يتحدث ويأمر القبيلة بتقديم له أجمل الفتيات، فهو معتقد خاطئ، فلا يمكن للثعبان أن يتكلم، فهي طريقة وحيلة يستعملها الأجداد في الحكي لجلب الأطفال للسماع، والتشويق والفضول في الذهن والتفكير في كيفية سير أحداث القصة.

بنت الجدة عنصر السرد والحكي في هذه القصة، فهي تسرد الأحداث وتصف الثعبان بأوصاف مختلفة وكذلك الفتاة ويتخللها في بعض الأحيان، الحوار غير المباشر كمرور الرجل على القبيلة وطلب منهم تقديم أجمل فتاة و أن فارسا سيأتي من بلاد الشمس هو الوحيد الذي يستطيع فك اسر الفتيات، و لكن أن الفارس في الحقيقة مجرد خيال، لأن الله تعالى هو الذي فك اسر الفيات في الجاهلية من القتل والتعذيب.

- **معتقد أن ملك الموت هو الإنسان و البومة تجلب الحسد:**

تتمتع كل المجتمعات بثقافة خاصة بها يصنعها أفراد والتراث الشعبي يزخر به، فهو يمثل رمز من رموز الأمة، ولمسة أورثها عن الأجداد. المجتمع الجزائري واحد من المجتمعات العربية التي تزخر بثقافة شعبية غزيرة ومتنوعة بمركباتها المختلفة من القيم

[1]–سامية بن دريس، بيت الخريف، ص32

والأخلاق والعادات والتقاليد والمعتقدات، ولكن هذا العنصر الأخير نجد نوع من المبالغة فيه والإيمان بكل ما يقال، ولكن ما يراه الإنسان في الحقيقية مختلف كل الاختلاف عن ذلك، فيخلق نوعا من التقلبات من الذي أوجده وأبدعه الله تعالى، وجعل عقل الإنسان يؤمن به، وما أبدعه هذا الكائن منن وحي خياله، كل شيء في هذا الكون لابد أن يصل إلى نتيجة حتمية فتثر على نفوسهم وعقولهم وتجعلهم يبتعدون عن الإيمان بالله تعالى ويدخلون في نوع من الجنون والشعوذة، ولأكبر مثال على ذلك ما تطرقت إليه الروائية، حيث اعتقدت إحدى العجائز الموجودة في تلك الدار أن ملك الموت إنسان كامل مثلها، هي تتنفس وتحكي وتضحك وتبكي، حيث تصفه بأوصاف إنسانية مختلفة، فتقول: "**سئل ملك الموت عن المواقف التي أبكته وأضحكته، فقال هناك موقفان، الأول أبكاني والثاني اضحكنني أما الأول فعندما ذهبت لقبض روح أم في صحراء خالية، يا الله لمن تترك هذه الأم رضيعها... ثم كان ما كان قبضت روح الأم، ومسحت دموعي وسرت نحو روح أخرى، أما الثاني فقد أضحكني... لما سارعت لأقبض روح عجوز تجاوز المائة عام وواحد، ولأن الحيلة أعيته مع عصاه، ... ليصنع لنفسه عصا من حديد بدلا من العصا الخشبية التي كان سيستعملها كرجل ثالثة... في تلك اللحظة ضحك ملك الموت، وقد علم أن الشيخ العجوز الذي تجاوز المائة عامر واحد كان نفسه ذلك الصبي الذي تركه وحيدا في الصحراء**"[1]

ومن هنا ندرك أن ليس كل ما نسمعه ونعتقده صحيح وحقيقي، فهناك أشياء لا يتقبلها العقل البشري مثل كون ملك الموت إنسان، ولكن هكذا كان الناس قديما يعتقدون ويقولون لأولادهم حتى يخافوا وينامو ولا يرتكبون الأخطاء، ولكن كل ذلك اعتقادات فقط لا صحة لها في الأصل.

[1]– سامية بن دريس، بيت الخريف، ص23–24

كما هو الشأن عند رؤية أو سماع لطار البومة في الليل، فهي تصدر أصوات وتزقزق على الأشجار، ذلك الصوت يشعر الناس بالخوف والقلق، وأن شر سوف يحدث لهم. فيعتقدون أن شخصا ما، سيموت أو يحدث له مكروه لكن في الحقيقة ذلك الطائر كباقي الطيور لا يرمز إلى أي شيء مما آمن الإنسان به كما انه طائر لا يحتمل الشمس والضوء وأن الله خلقه. هكذا يخرج ليلا وليس نهارا.

راودت الكاتبة هذا المعتقد في روايتها فتقول في أحد الأسطر في تشبيه أحد العجائز بالبومة،"**فتخيلت صورتها داخل عالمهن المتألف مثل بومة غريبة جالبة للنحس...**" [1].

لكن هذا الاعتقاد يبعد الإنسان عن عظمة وقدرة الله تعالى وينسي عبده أن الله تعالى لم يخلق مخلوقا إلا بعد دراسة وتفكير، انه له سبب في وجوده على وجه الأرض وانه الوحيد الذي يقول كن فيكون ولا توجد قوة خارقة أخرى تستطيع القيام بذلك فتبقى المعتقدات مجرد أوهام تورثها الناس من السابقين ولا أساس لها من الصحة.

د/ الفنون الشعبية:

الفنون الشعبية إرث حضاري، وثقافي، فني تزخر به كل الأمم سواء المتقدمة أو المختلفة، مهما كانت لغتها، أصلها وثقافتها قضية يلمس الفرد هويته وتراث أجداده، تطور هذا الفن عبر العصور المختلفة، فكانت بدايته الفعلية في بريطانيا في منتصف الخمسينيات ثم انتقلت إلى الولايات المتحدة الأمريكية، وكانت الجزائر من بين هذه الأمم التي اهتمت بهذا الموروث الثقافي والشعب الجزائري كان يعتز به لأنه يمثل عنصرا مهما يداوله الأجيال ليبقى راسخا في الأذهان.

الفنون الشعبية تشعر الفرد بالانتماء إلى الجماعة والإحساس بالتجانس معها، وهذا الأخير (الفن) لم يتوقف رغم الصعوبات التي واجهته من الرفض والقمع من جوانب مختلفة من الحياة الاجتماعية.

[1]– سامية بن دريس، بيت الخريف، ص23.

" وقد أطلق عن الفن الشعبي تسميات عدة منها (الفن الأهلي)، لأنه يتصل اتصالا وثيقا بالشعب والأهالي. كما يطلق عليه اسم (الفن الدارج) لأنه يتصف بالتلقائية والعفوية، وهو بعيد كل البعد عن الفنون القائمة على الأسس العلمية " [1]

اختلفت تسميات هذا الفن عند الناس بسبب عدم إخضاعه للقواعد وقوانين التي تفرض عليه الانقياد لمفهوم أو مصطلح واحد ، بل كان صادر من عامة الناس فلكل واحد منهم أعطى له تسمية وحسب ثقافة ومعارفه، وكما اختلفوا أيضا في أنواعه ومميزاته والعناصر المكونة له، وعكس هذا العلم ثقافة المجتمع ، وأسلوب حياة أفرادها ، فهو من أكثر ألوان التراث الشعبي رسوخا في الذاكرة البشرية، وأكثرها ارتباطا بالمشاعر والوجدان، ويعمل كذلك عن ربط الأجيال الحالية والمستقبلية بتراث الأهل والأجداد حتى يكون شاهدا على جزء هام من تاريخ الدولة وتراثها.

فهي إذن " **عند بعض الجماعات المنعزلة والهامشية والمنغلقة على نفسها ولو نسبيا ، تكون ذات أهمية بالغة لفهم تراثها الشعبي وثقافتها على وجه العموم والفنون في مثل هذه الجماعات المنغلقة يكون أكثر تعبيرا عن روح الجماعة ، وعن الذوق الشعبي والقيم الجمالية الشعبية حيث يكون الفرد الفنان أكثر تمثيلا لقيم الجماعة وأكثر انصهارا في التراث** " [2] .

تختلف وجهات نظر الأفراد حول هذا التراث، فهناك من يعطيه مكانة عظيمة، ويعتبره فن يحاكي الأسلاف وذات قيم جمالية وذوقية وهذا نظرا لأسلوب السهل الذي تتقيد به ولا يخضع لتعقيد ويشمل ألفاظ بسيطة صادرة من عامة الناس.

---

[1]– موقع : مميزات الفن الشعبي والفنون المدرجة ضمن إطاره ، موسوعة الكويت العلمية ، الجزء الثالث عشر ، 2002، تم الإطلاع عليه يوم السبت 8 أوت 2019 على الساعة 23:15 الموقع : http://www.aspdkw .com.

[2]– فاروق أحمد مصطفى، ومرفت العشماوي ، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط1 ، 2008 ، ص 36

أ / الأغنية الشعبية :

عبارة عن مقاطع نغمية، وما نسمعه من إيقاعات وتموجات موسيقية ترتبط بمكان وبيئة وجماعة من البشر التي يردونها في الأفراح والمناسبات يعرفها **(أحمد هرسي): بأنها: " الأغنية المرددة التي تستوعيها حافظة جماعة تتناقل آدابها شفاها وتصدر في تحقيق وجودها عن وجدان شعبي "[1]**

وهي تمثل صفة من صفات الإبداع التي روج إليها الأدباء الجزائريين، فهي تناقلت بين الناس بفضل عنصر المشافهة من فرد إلى فرد أو من جماعة تهم المجتمع بكل متغيراته.

يعد الباحث (هودز) أول من أستخدم مصطلح الأغنية الشعبية عندما أصدر كتابه الشهير الموسوم بأصوات الشعوب من أغانيها ومنذ ذلك الوقت ظهر المصطلح لدى الدارسين الأوروبيين وانتشر استخدامه لدى عامة الناس، ومن بين الذين تناولوا هذا المفهوم، نجد الباحث (ألكسندر هجرتي كراب) الذي يعرفها بأنها : "**قصيدة شعرية ملحنة مجهولة المؤلف كانت تشيع بين الأميين في الأزمنة الماضية ، وما تزال حية في الاستعمال.** "[2]

فمن وجهة نظر هذا المفهوم فإن الأغنية الشعبية تكون مجهولة المؤلف، فهي صادرة من عامة الناس بطريقة شفوية، فهي تعبر عن وجدان الجماعة وكيانه، وهي تتميز بالوضوح والبساطة.

ظلت الأغنية الشعبية عبر العصور نتاجا ثقافيا واضحا عند العرب لما لها من خصائص تعبر بصدق عن روح الشعب العربي، وهذا ما نجده في الجزائر، فلقد ازدهر إزهارا ملحوظا مع بدايات القرون الماضية ، ومن أبرز روادها نجد: الحاج محمد العنقى، الهاشمي قروابي، محمد الباجي، ودحمان الحراشي، كمال مسعودي ....

---

[1]– احمد مرسي، الأغنية الشعبية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1968، ص10.

[2]– ألكسندر هجرتي كراب، علم الفلكلور ترجمة أحمد رشي صالح، وزارة الثقافة المصرية، مؤسسة التأليف والنشر، دار الكتاب ، القاهرة ، ط1،1996، ص 235 .

يقول **(فاروق أحمد مصطفى)** في ذلك: " **الأغنية الشعبية تلك المقطوعات الشعرية التي تغني بمصاحبة الموسيقى في أغلب الأحيان، والتي توجد في المجتمعات التي تتناقل آدابها عن طريق الرواية الشفهية من غير الحاجة إلى تدوين أو طباعة** "[1].

فمن هذا القول نفهم أن هذا الفن لا يركز على الكتابة أو التدوين، فتكون بطريقة تلقائية، وتبقى واسعة في الدهن عبر العصور دون أن تضيع وهذا ما نجده خاصة عند الكبار في السن يرددونها في الأفراح والمناسبات، وكذلك في الأحزان.

واستطاعت أن تدرج (سامية بن دريس) الأغنية الشعبية الجزائرية في روايتها ، حيث أعطت لها مكانة ، بحيث وظفتها في قصصها، م من بين الفنانين الجزائريين الذين عادت أليهم نذكر عملاقة الطرب (وردة الجزائرية) التي تعتبر من الفنانات اللواتي تعال أصواتهن في أذان الملايين الجزائيين ، بحيث تمثل أغانيها مجد وفخر بالوطن الحبيب، فلها عدة أغاني منها (بلادي أحبك) ، (وطني حببي) ، ونجد أيضا (فريد الاطرش) ، وهذا ما نجده في هذه الأسطر من الرواية عند قصة التي أسمتها (مذكرات ماجدة) حيث تقول:"... **وأدرت زر المذياع كانت الساعة السابعة تدق ، موعد حصة الغائبين وانطلق صوت فريد الأطرش ووردة الجزائرية ، ففريد بصوت الأبح ووردة بحنجرتها الذهبية الشبة (يا حبابي يا غاليين وحشتني يا غاليين . لو أغمض وأفتح ولئيكم جايين يا حبايبي يا غاليين** ..." [2]

بالتالي (وردة الجزائرية) لم تقطع صلتها بالوطن، رغم الظروف القاسية التي صادفتها في حياتها، بل تمسكت بكل قوة وكانت رغبتها العودة إلى جوار أحبابها وعائلتها التي اشتاقت لهم فتغنت عليهم في هذه الأغنية التي تمثل رمزا على التراث الشعبي الجزائري.

---

[1]– فاروق احمد مصطفى، المواليد (دراسة لعادات والتقاليد الشعبية في مصر)، الهيئة المصرية للكتاب، ط2، 1980، ص151.

[2]– سامية بن دريس ، بيت الخريف ، دار النشر، الجزائر ، ط1 ،2018 ، ص127

ب / المديح النبوي:

المديح النبوي عبارة عن الشعر الذي يهتم بمدح الرسول صلى اللّه عليه وسلم، وهذا بذكر صفاته الحميدة الخلقية مع ميسرته النبوية، فهو أفصل مخلوقات اللّه تعالى، أرسله لهداية الناس وإبعادهم عن السيئات، وكل ما حرمه القدير عليهم ودعوتهم إلى إتباع الطريق المستقيم وامتثال لأوامره والنهي عن المنكر فهو يريد الخير لأمته.

عرف **(زكي مبروك)** المدائح النبوية بأنها: " **فن من فنون الشعر أذاعها التصوف، فهي لون من التعبير عن العواطف الدينية، وباب من أبواب الأدب الرفيع، لأنها لا تصدر إلا عن قلوب مفعمة بالصدق والإخلاص** "[1]

و بالتالي يمكن القول أنه فن يتصف بالصدق والوفاء، والإخلاص ومدى تأثر صاحبه بأخلاق الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، الإشادة بغزواته وصفاته المثلى والإكثار من الصلاة والسلام عليه .

يعود ظهور المديح النبوي في الشعر العربي بكل أشكاله ومميزاته مع ولادة الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، فانطلقت بذلك الدعوة والفتوحات الإسلامية والتخلي عن كل ما كان سائد في الجاهلية من اللهو والمجون ومجالس الرقص والغناء ، فجاء هذا الفن يرجع مكانة الإنسان وإعادة له القيمة والموقع الذي لابد أن يكون فيه ، فبفضل النبي الكريم اعتنق الناس الدين الإسلامي ، فأصبحوا يمدحونه ويمدحون صاحبه الذي أعطى لهم النور بعد الظلام وأرجع لهم الحياة التي تجعلهم يقتربون من خالقهم ، وفي هذا يقول (عبد المطلب) في ولادة (الرسول صلى عليه وسلم) إن شبهه بالنور والإشراق :

و أنت لما ولدت أشرقت الأرض وضاءت بنورك الأفق .

منحت في ذلك الضياء وفي النور وسبيل الرشاد تحترق. [2]

---

[1]– زكي مبروك، المدائح النبوية في الأدب العربي ، منشورات المكتبة المصرية ، بيروت ، ط1 ،1935 ص 17 .

[2]– عباس الجراري ، الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه ، مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، المغرب، ط2 ، 1982 ، ص 142.

وهذا النوع من الفن نجده أيضا في الشعر الشعبي الجزائري الذي أستمد جذوره من الدين الإسلامي الذي كان في الزوايا والجوامع التي كان يحفظون فيه القرآن الكريم والسنة البنيوية الشريفة، ولقد انقسم هذا الشعر إلى نوعين ، فالأول : " **هو ما كان امتداد لتراث القديم في هذا الموضوع أو هو يرتبط أساسا بالنظرة الصوفية إلى حد كبير، أما النوع الثاني فهو الذي اتخذ من مدح الرسول (ص) مبدأ الدعوة إلى النهوض واليقظة ، وذلك بعد أن تطورت الحياة الفكرية والأدبية والسياسية ، فالأول كان تعبيرا عن مرحلة حضارية عاشتها الجزائر قبل هذا القرن ، وكان الدين فيها قد أصبح هو القوة الوحيدة التي بقيت لناس في حياتهم ، أما الثاني فكان تعبيرا عن مرحلة حضارية جديدة انتقلت إليها الجزائر لظروف التي تحدثنا عنها سابقا** ." [1]

مزج الشعر الشعبي الجزائري بين عنصرين مهمين في وجوده، وفي حضارته فالأول كان مرتبط بظهوره والذي ربطه بالسابقين من الأجداد فلا يمكن لدولة أن تكون بدون هذا العنصر المهم، والذي يعتبر أحد ركائزه الأساسية. وأما الثاني فيتمثل كما سبق ذكره في الدين الذي هو سيد الأمة، وأحد مقوماتها التي تسير عليها.

من رواد هذا الفن نذكر (عينية ابن المخلوق الفلسطيني) وهو من بين الشعراء الذين يكتبون عن سيرة النبي (ص) نذكر ديوانه (حني من الحنين) ، حيث وصفه بأنق الصفات والسمات الحميدة .

كما أدخلت الكاتبة في روايتها التراث الشعبي الجزائري الذي لطالما كان رمز من مقومات الجزائر وتوارثها هذا الشعب لمدة زمنية طويلة حتى لا يزول .

من بين المكونات توظيفها لعنصر المدائح النبوية التي تقوم على مدح الرسول صلى اللّه عليه وسلم والتغني عن خصاله وصفاته الحميدة، وأنه أفضل مخلوقات الله تعالى.

[1]– صالح خرفي ، شعر المقاومة الجزائرية ، المؤسسة الوطنية لنشر والتوزيع ، الجزائر ، ط1 ،1981، ص 51

وتمثل المدائح رمز من رموز التقرب إلى الخالق والتوبة إليه ، وهذا ما نجده في هذه الرواية في قول العرجاء :

"...**أقول لكي يا ابنتي بأني بحاجة إلى التوبة ، أنا في الخميس هجرت المهنة اللعينة ...لا أريد الغناء بالضبط أريد المديح النبوي أحفظ من حديث المئات منها : مولايا صلى وسلم على المصطفى ، حبيبنا محمد عليه السلام .... أريد العودة إلى مهنة المديح النبوي سنحتفل عندما تعود الحاجات.... أقسم لكي بالحلال لم يعد في العمر متسع أخر لغير الذكر والصلاة على النبي**"[1].

من هنا ندرك أن العرجاء تابت إلى الله تعالى ، ولم تعد تغني على الحب والصحة واليتيم، بل أصبحت أغانيها على حببنا الرسول صلى اللّه عليه وسلم ، ودعوة الناس إلى الصلاة والسلام عليه ، فهو يهديهم إلى البر والتقوى ، وكما يبعدهم عن طريق السيئات ليقابل اللّه تعالى يوم القيامة بالأعمال الحسنة، وبالتالي ترفع درجاته عند اللّه تعالى، ويمنحه النعيم والجنة، وكما ترى أن هذه المرأة أيقنت أن الغناء الذي كانت تؤديه من بين المحرمات التي حرمها اللّه على مبادئ ، وكما أرادت في الأيام المستقبلية لها في الحياة أن في الحياة أن تتوب لخالقها بالذكر والصلاة عن النبي صلى اللّه عليه وسلم .

فعلى كل إنسان في هذا الوجود أن يصحح معاملته وأفعاله ومميزاته، ويعرف الصحيح عن الخطأ والحلال عن الحرام ويتقرب إلى اللّه عز وجل بالدعاء والصلاة قبل فوات الأوان، لأن الدنيا فانية.

[1]– سامية بن دريس ، بيت الخريف ، دار ميم للنشر، الجزائر ط1 ،2018 ص 157.

الفصل الثاني:

التناصات الثقافية

المبحث الأول:

1- مفهوم التناص

2- مفهوم الثقافة

3- علاقة بين التناص بالثقافة

المبحث الثاني:

أ/ الأمثال الشعبية

ب/ الحكايات الشعبية الخرافية

ت/ اللغة العامية

ث/ الخطاب الشعري

المبحث الأول:

1- مفهوم التناص:

يعد التناص من المفاهيم الشائعة والأكثر استعمالا في مجال الفكر والمعرفة فيمثل في اقتباس نصوص أو تلميحات أو مضامين من نصوص أخرى ويقول: "عز الدين المناصرة" في تعريفه لمصطلح التناص: "**كل نص يتعايش بطريقة من الطرق مع نصوص أخرى وبذلك يصبح نصا في نص تناصا**"[1] .

بالتالي فهو من ابرز المصطلحات الحديثة التي شغلت اهتمام كل الباحثين أمثال محمد ينيس ومحمد مفتاح، سعيد يقطين، صبري حافظ، رولان بارت الذي يقول في هذا الصدد: "**التناص هو إعادة النص لتنويع اللغة، فكل نص ليس إلا نسيجا جديدا من استشهادات سابقة**"[2] فهو إعادة النص الأصلي الذي تم تدوينه من أجله أي الأثر ولا يمكن للقارئ البسيط أن يكتشف الأصل إلا الذي كان عنده خبرة أي القارئ النموذجي لان هذا النوع (التناص) يقوم بعلاقة منسجمة مع نصوص الأصلية والجديدة بطرق مختلفة إنما عن طريق استبدال الألفاظ بألفاظ جديدة ذات نفس المعنى والمتن لإنتاج علاقة أو نصوص جديدة. "**يتفاعل بواسطتها النص مع الماضي والحاضر والمستقبل وتفاعله مع القراء والنصوص الأخرى**"[3] إذن النصوص الجديدة تصلح لكل العصور لأنها تحتوي معاني وألفاظ جديدة يمكن الرجوع إليها واستعمالها في كل الأوقات وكما أنها تخدم أفكار ومواقف كل الناس على عكس ما كان في العصر الجاهلي كانت النصوص تركز فقط على الملوك

---

[1]- عزز الدين المناصرة، علم التناص المقارن (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي) ، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، دار البيضاء، ط1 ، 2006، ص 124.

[2]- محمد سالم الله ، مملكة النص ،(التحليل السيميائي للنقد البلاغي)، جدار للكتاب العالمي للنشر و التوزيع ، الأردن ، ط1، 2007، ص51

[3]- محمد عزام، النقد والدلالة نحو تحليل سيميائي للأدب، ط1، منشورات وزارة الثقافة، ط1996،1، ص148.

والأساطير والتغني بالنساء وجلسات اللهو والمجون ولكن الآن فهو يبنى علاقة وطيدة مع هذين العاملين خليل الخطاب الشعري) في قوله "**فأساس إنتاج أي نص هو معرفة صاحبه للعالم وهذه المعرفة هي ركيزة تأويل النص من قبل المتلقي أيضا**[1]

ويبقى التناص أحد الممارسات اللغوية والدلالية التي يلجأ اليها الكاتب لاسترجاع بعض النصوص السابقة بطرق مختلفة ومستويات متفاوتة سواء ما يتعلق بالرواية أو الشعر.

2- مفهوم الثقافة:

تتأسس المجتمعات البشرية عن طريق مجموعة من السلوكيات والمفاهيم المعيارية التي ينتجها المجتمع ومن بين هذه المفاهيم نجد مصطلح الثقافة ولقد تعددت التعاريف حوله بين الغرب والعرب وهذا وفقا لطبيعة المواضيع التي تستخدم فيها فالبعض يستعملها من اجل الدلالة على تنمية وتطوير العقل وفيي القرون الوسطى اعتمد عليها للدلالة على الطقوس الدينية التي كانت تستعمل في القديم.

الثقافة في ابسط تعريفاتها تشمل المعارف والأفكار والمعلومات والفنون التي يكتسبها الشخص التي تربطه بغيره من البشر من اجل بناء علاقات مخالفة وخاصة على مستوى الجماعة فهي تبقى قبل كل شيء نشاط إنساني.

يرى تايلور بأن الثقافة هي: "**ذلك الكل المركب الذي يشتمل على المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والعادات أو أي قدرات أخرى أو قدرات يكتسبها الإنسان بصفته عضوا في المجتمع**"[2].

---

[1]- محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشهري، إستراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي ، المغرب، ط3 ،ص123.

[2]- غياث بوفلجة، القيم الثقافية والتسيير، دار العرب للطباعة والنشر، 1998، ص07

أي أن الثقافة بهذا التعريف السابق تشمل كل الطاقات والقدرات التي يحررها الإنسان في المجتمع فليسلها خصوصية أو عنصر واحد فهي تتدخل في كل شيء في حياته فلا يمكن له الاستغناء عنه مهما تطور العلم والمعرفة تبقى ضرورية دائما.

3- علاقة التناص بالثقافة:

يعد التناص عنصرا جوهريا في بنية النصوص الإبداعية يعود اليه الكاتب للاستشهاد على أقواله ومواقفه. وكما انه مجموعة من الأصوات والإحالات التي تنصهر داخل النص فهو يستقي كل تلك الأفكار والمفاهيم من المخزون الثقافي الذي احتوته الذاكرة عبر مراحل زمنية متعاقبة.

فيرى (بارت) أن هناك علاقة بين عنصر التناص وعنصر الثقافة فهذه الأخيرة هي التي تعطي لنصوص المعنى والمتن ومنها يستقي الكاتب موضوعاته فتشكل نوعا عن الترابط بينهما وهو ما يوحي إليه لنا (بارت) في قوله: "**يصنع من نصوص متضاعفة التعاقب على الذهن منسجمة من ثقافات متعددة ومتداخلة في علاقات متشابكة من المحاورة والتعارض والتنافس**"[1].

وعليه فإن التناص هو تداخل الثقافة فيه التي تتمثل وتحصل ملفوظات جديدة التي تجمع مختلف الأنساق وهذا باستحضار دلالاتها ليستكمل أحدهما الآخر وهذه العلاقة حتمية من اجل إحداث التداخل والتفاعل ويقرب الفهم إلى المتلقي.

[1]- احمد ناهم ، التناص في شعر الرواد، دار الآفاق العربية القاهرة، مصر، ط1 ، 2007، ص19

المبحث الثاني:

أ/ الأمثال الشعبية:

لقد شغل المثل الشعبي حيزا معتبرا في نص رواية (بيت الخريف) فقد عمدت الروائية إلى توظيف بعض من الأمثال الشعبية المستمدة من البيئة المحلية واتخذتها وسيلة للتعبير عن حياتهم.

ومن المعروف أن المثل هو عصارة تجارب الإنسان في الحياة، وثمرة تجاربه الحلوة والمرة فوق هذه الأرض من خلال احتكاكه بالناس وتواصله مع الآخرين، ولا يمكن للإنسان أن يتفوه بمثل إلا بعد أن يكون قد خرج من الحياة بتجربة قد أذاقته البؤس والمرارة والشقاء، أو أعطته درسا كبيرا في هذه الحياة والأمثال ملك لجميع الشعوب مادامت حياتهم متشابهة ومتماثلة مهما اختلفت الأزمنة والأمكنة، مادامت التجارب البشرية الواحدة من حيث الأفعال والأدوار الحياتية والقيم الأخلاقية فهو قد يقدم معطيات ثقافية متنوعة وعديدة فهو في اطار إثراء المعلومات والأمثال لا يعنني مجرد أقوال يخترعها الناس في مناسبات معينة، وإنما يعكس التفكير الناجح والسليم للفرد ورؤيته البعيدة للأمور، وهذا ما يؤكده "توفيق أبو علي" في قوله عن المثال إنه "**الحجة والحديث، وقد مثل به تمثيلا وامتثله وتمثله وتمثل به والمثال صفة الشيء وتمثل بالشيء ضربة مثلا والمثل: الشبه، يقال: هذا مثله ومثله، كما يقال: شبهه والمثل يدل على مناظرة الشيء لشيء والمساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمثقفين لا تكونن إلا في المثقفين تقول : نحوه كنحوة وفقه هو مثله على الإطلاق**[1] .

المثل عبارة عن جمل قصيرة وعبارات مختصرة تشبه القصة القصيرة، وتتحدث عن تجربة معينة مر بها أشخاص في زمن معين، يتناولها الناس بشكل مختلف ووقائعها نعيشها

[1]– محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي ، دار النفائس للنشر، لبنان، ط1، 1988، ص32.

في أي حقبة من الزمن، وهي لا تعكس المواقف المختلفة بل تتجاوز ذلك أحيانا لتقدم لهمم نموذجا يقتدي به في مواقف عديدة، وهو قول مأثور موجز العبارة، يتضمن فكرة صائبة أو قاعدة من قواعد السلوك الإنساني أطلقه شخص من عامة الناس في ظرف من الظروف ثم شاع على الألسن وأخذ الناس يتداولونه في مختلف المناسبات التي تشبه الظرف الذي قيلت فيه لأول مرة وهذا ما أكده **(بورايو)**: "**وللمثل مورد ومضرب، يقصد بالأول الموقف الذي صدر عنه أول مرة قيل فيها، والثاني السياق الذي أعيد إنتاجه من خلاله**"[1] .

وتعتبر خلاصة تجارب الشعب، وكذا تأكيد المعاني التي يقصدها وليصل الإقناع والاقتناع، "**فهي تجسد لقيم وتقاليد ومعتقدات وسلوكك الشعب الحقيقية، لأنها انعكاس للبيئة التي نشأ فيها**"[2] هي اذا انعكاس لحياة الإنسان بخيرها وشرها وحلوها ومرها، ومن أهم سماته، "**الميل إلى الرمز والتلميح دون التصريح والكناية دون الإفصاح**[3] بالرغم أن المثل الشعبي يتغير من منطقة إلى أخرى لكن مضمونه يبقى له رسالة واحدة وهدف واحد وغاية واحدة، وتداولوه على الألسن يجعله محفوظا في الذاكرة والأمثال لم تخلق من فراغ ولكنها امتداد للماضي البعيد والقريب، ومن هنا يمكن القول أن الأمثال ليست أحكام مطلقة وتوجيهات عامة لجميع الناس، بل هي أحكام مزاجية نشأت عن حوادث اكثر فردية.

ويعد المثل أيضا من الفنون الأدبية الشعبية وعنوان كلل أمة وشكل من أشكال أدبها فإذا كثرت أمثالها دل ذلك على حريتها وذكائها، وتأثرت بحوادث الحياة وتقلباتها، توجز الملامح المهولة والقصص الطويلة، والاضطرابات الطاحنة والخطوب السوداء، في عبارة

---

[1]– عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، ط2،2007، ص59

[2]– محمد صفوت، الأمثال الشعبية، دار مصر للطباعة، مصر، ط2، ص05

[3]– نبيل حلمي شاكر، أمثالنا الشعبية، خطوات للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2004، ص09

قصيرة جامعة هي ما يسمى بالمثل، فكل: "**مثل إذن قصة، ولكن قصة معنى ولكل معنى صفة من صفات الحياة، ولون من مثيلاتها، ووجه من وجودها**"[1]

يفيد المثل معنيين: " **ظاهر وآخر باطن، الظاهر هو حدث من أحداث التاريخ يلخص تجربة إنسانية معينة، أما الباطن فهو مرجعه إلى الحكمة والإرشاد، فهو يقال في موقف يعنى به النصح والإرشاد وآخر الموعظة** "[2] .

هذه تعاريف أو مضامين تعني المماثلة والمشابهة بين شيئين، وبذلك يصبح مثلا سائرا، ثابتا ومتداولا، فهو كجملة استعارية تعبر عن الموقف بطريقة تلميحية، وهذا ما ساعد على الانتشار والشيوع بين الناس ولكن رغم ذلك فالمثل ليس تعبيرا لغويا فحسب، بلل يحمل في مدلولاته الكثير من الصور التعبيرية التي يلجأ إليها الشعب في التعبير الصائب عما يختلج في حياتهم الاجتماعية من إرهاصات وتناقضات.

تعد الأمثال المنهل الذي يدرس تراث الأمة الفكري والاجتماعي واللغوي وفق عاداتها وتقاليدها، فلكل مثل قيمة على المستوى التحليلي للغة، ولذا دعت الحاجة إلى الاهتمام بتلك الأمثال لما لها من أهمية في حفظ تراث الأمة.

لقد استعان النص بعدة أمثال شعبية يتراوح مضمونها من حالة إلى أخرى حسب ما يناسب المشهد، كما جاء المثل في رواية بيت الخريف:

-المثل الذي يقول: "**البركة في الحركة**"[3] يقصد بأن الإنسان يتحرك وحركته دليل على الحياة فيه وإذا بطلت حركة جسده يكون حينئذ قد مات، أي بعدم الحركة تشكل الموت حيث انه مثل شعبي متداول بكثرة يستعمل في حياتها اليومية

[1]- عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى، ص55

[2]- حلمي بدير، أثر الأدب الشعبي الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر ط2، 2002، ص30

[3]- سامية بن دريس، بيت الخريف، دار ميم للنشر ، الجزائر، ط1، 2018، ص43.

-"**فولة وانقسمت**"[1] في المثل هذا يمكن القول بأن الله خلف فينا أربعين شبه وكل منا له طرف آخر يشبه في تصرفاته وأسلوبه خلاقه،، ويقال هذا المثل خاصة عند المصريين وأدرجته الكاتبة في هذه المقتطفات لتأكيد أن هناك تشابه بينن يمينة وحفيدتها فكلما رأوها الناس يقولون هذا المثل: فولة وانقسمت والفولة هي يمينة وانقسمت تقصد بحفيدتها ونسبة الشبه بينهما كبير.

-**عند الشيب ظهر العيب**"[2] أي أن الشيب عادة علامة الكبر ومن الطبيعي ألا يكون هناك ترحيب به، هناك من حزنن على ذلك، كما قال الله تعالى: في آيته الكريمة: "**أولم يعمركم ما يتذكر فيه من تذكر وجاءكم النذير**"[3] أي أن الشيب يجعل لصاحبه هيبة ووقار، فظهور الشيب في الراس أفضل من العار كالسرقة والجريمة والشرف أو الفضيحة...

ويقال في هذا المثل في هذه الرواية عن العجوز الذي تعذر به صحته وماله وأولاده ويطهر فيه عيوب كالمرض والعجز والشيخوخة المتداولة أو الموجودة بكثرة في هذا الزمان الغدار

وظفت الروائية مثلا شعبي آخر وهو: "**خدام الخير يسموه بو الزبايل**"[4] وهذا يعني أن الحياة عبارة عن محن واحدة تلوى الأخرى إذ نجد في الرواية انه قد ضرب هذا المثل على النساء اللواتي وجدن داخل دار العجزة رغم أفعالهم الجيدة والحسنة التي كانوا يقمن به مع أزواجهم وأولادهم وغيرهم مالا انهم مصيرهم وجوده في دار العجزة، ولكن ما عمل الشر سيلقاه ومن من عمل الخير سيجازى عليه، واله وحده يعلم ما في الصدور والدنيا دوارة.

---

[1]- سامية بن دريس ، بيت الخريف ،ص48

[2]- المصدر نفسه، ص43

[3]- فاطر الاية 37

[4]- سامية بن دريس، بيت الخريف، دار ميم للنشر، الجزائر، ط1،2018 ، ص45.

ج/ الحكاية الشعبية الخرافية :

تعددت المفاهيم حول ففن الحكاية الشعبية فكل واحد كيف يعطى لها التعريف لأنها من الفنون التي تناقلها الناس فيما بينهم بالطريقة الشفوية والعفوية فلم تخضع لأي قوانين او قواعد تقيد الإنسان بها وكما أنها شكل تعبيري قديم عرفته المجتمعات الإنسانية واحتلت مكانة عظيمة لارتباطها الوثيق بالمواقف الإنسانية ومعتقداته حول الوجود وفي هذا الصدد يقول رابح العوبي: "**فن قديم يرتكز على السرد، أي السرد خبر متواصل بحدث قديم انتقل عن طريق الرواية المتداولة شفويا عبر الأجيال مما يجعلها تخضع للتطور عبر العصور نتيجة للخلق الحر للخيال الشعبي الذي ينتجها حول حدث أو حوادث مهمة بالنسبة للشعب**"[1].

إذن الحكاية الشعبية الخرافية إبداع ذات خيال واسع يصور بمختلف الطرق الحياة ويبني علاقة بين السارد والمتلقي، فالحكاية الشعبية من الفنون التي نالت اهتمام الكثير م/الباحثين، نظرا لثراء مكوناتها وعناصرها، وانها تعبر عن القيم الأخلاقية والفنية والجمالية التي تحتويها الثقافة الشعبية والتراث الشعبي.

لقد عرفها **سعيدي محمد** بقوله: "**هي وصف لواقعة خيالية او شبه واقعية او حقيقية أبدعها الشعب في ظروف حياته، سجلها في ذاكرته، ورواها أفراده لبعضهم البعض بمرور الأيام وتوارثوها فيما بينهم عن طريق المشافهة من اجل المتعة والتسلية**"[2]

ومن هذا التعريف أن الحكاية الشعبية ظاهرة تتأرجح بين الخيال والواقع فهي غير مستقرة على موقف واحد وأنها لها عدة خصائص منها تستعمل لتسلية والمتعة ومنها للتربية كما كانت تقوم الجدات في القديم عندما تحكي لأولاده حكايات عن (لونجة والغول) أو (بقرة

[1]– رابح العوبي، أنواع النثر الشعبي، منشورات جامعية باجي مختار، عنابة، ط1،ص35

[2]– سعيدي محمد، الأدب الشعبي بيمن النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، ص58

اليتامى) فهي كلها حكايات لها مغزى وعبرة تجعل الطفل يفهم المحتوى وما يقصد من خلالها ويحاول أن يتفادى القيام ببعض الأعمال والأفعال التي تؤدي به إلى الهلاك كما كانت موجودة في الحكاية الشعبية الجزائرية.

لم يعرف حتى الآن الموطن الحقيقي الذي بدأت منه الحكاية الشعبية لأنها فن عريق ونشأ منذ القدم لذلك يصعب تحديد تاريخ ظهوره بدقة، فهي مرتبطة ارتباطا وثيقا بالإنسان لذلك نجد أن هناك اختلاف في الآراء بين العلماء في هذه المسألة، حيث تقول الدكتورة **غراء حسين:** "**ومن المحال معرفة اين ومتى ولدت، ومادامت تعيش في كل مكان، وكل زمان دون تحديد زماني أو مكاني ولكن هذه الحكايات لا نعرف مصدرها بالتحديد نعيش في ذاكرة بع الرواة فهي ثمار لتأملات وتجارب الشعوب**"[1]

تعتبر الحكاية الشعبية احدى العلوم التي اهتم بها الأدب الجزائري لأنه يعتبر جزء مهما من تاريخها وحضارتها وثقافتها، "**ظلت أشكال التعبير الأدبي الشعبية تمثل الإمكانية الوحيدة التي استخدمها المجتمع الجزائري للتعبير عن واقعه المباشر بصفة عامة وعن تطور الوعي الوطني في مختلف مراحله، بصفة خاصة، سواء وهو في مرحلته الجنينية، في القرن التاسع عشر أو هو يتشكل وتنضج حدوده منذ بداية هذا القرن...**" [2] يتضح أن الحكاية الشعبية عاشت الأوضاع الصعبة خلال الفترة الاستعمارية وبعدها واستطاعت أن تكون الوسيلة المثلى التي عبر بها هذا الشعب عن آلامه وظروفه.

يتميز التراث الشعبي الجزائري باحتوائه لمختلف المكونات الثقافية من الأمثال والقصص والألغاز والحكايات التي كانت ترويها الجدات لأولادها قبل النوم، فهي تعتبر شكل

---

[1]– سي كبير احمد التجاني، الحكاية الشعبية في منطقة ورقلة، مجلة الأثر جامعة قاصدي مرباح ورقلة، عدد 19، 2014، ص128

[2]– عبد الحميد بورايو، البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، دراسات حول خطاب المرويات الشفوية، الأداء، الشكل، الدلالة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1998، ص20–21

من أشكال التعبير الشفوي، فهي من صنع الخيال ومن بين هذه الحكايات الشعبية نذكر: (بقرة اليتامى)، (لونجة والغول)،(واغزن)، فكل هذه الحكايات كانت خرافية، تستعمل لتربية الطفل وفتح له المجال للتخيل من إبداع أفكار جديدة ويمكن أن هذه الحكايات التي كانت تروى تترجم ما عاشه الشعب في وقت منن الأوقات مثلا ربما حكاية (لونجة والغول) تترجم معاناة الشعب الجزائري غداة الاستعمار الفرنسي الذي استعمل كل ما بوسعه لتحطيم هذا القوم.

للحكاية عدة أنواع فمنها الحكاية الواقعية وتروي أحداث حقيقية وهي من صلب الواقع المعيشي للأفراد ولقد أدرج هذا النوع في الرواية حيث يظهر عندما كانت تحكي احدى العجائز لماجدة ما فعل بها ابنها الذي خدعها بسبب المال في قولها:

"**... ولكن الخيانة تنطق الصخر أنها تكوي القلب وتجعل الآخر يغني في الضحى، قال لي:**

- **يا أمي من أين لك القوة لتذهبي كل شهر إلى مركز البريد والوقوف في الطابور الطويل، أين السيقان التي ستحملك؟ دعيني أتولى الأمر نيابة عنك، سجلي وكالة باسمي، إذا شئت غدا ننزل إلى المدينة سأحضر سيارة أجرة... فلم لعد قادرة على عد النقود والاحتفاظ بها، اللصوص كثيرون**"[1].

الحكاية التي راودتها العجوز هي نفسها التي عيشها الآلاف في حياتها اليومية بسبب خداع الإنسان وغروره بالمال ظنا منه انه الوسيلة المثلى لنيل السعادة والهناء ولكن في حقيقة غير ذلك لان باحتراق قلب الأم بالحزن والألم من طرف ابنها لن تسامحه على ذلك وهذا ما كانت تحس به العجوزة المسكينة التي تلاعب ولدها بمشاعرها على أساس أنها مريضة ولا تستطيع الوقوف طويلا ولكن لحسن طيبة الأم صدقت ولدها الذي استخدم تلك

[1]– سامية بن دريس، بيت الخريف، دار ميم للنشر، الجزائر ، ط1، 2018، ص45

الحيلة اللعينة لتحقيق أهوائه وشهواته المعنوية ولكن المال ليس كل شيء في حياة فإذا كان تحصل المال بالنفاق تسيطر عليه وكل أفكاره فالسعادة الحقيقية في المال هي أن تتحصل عليه من عرق جبيننا وبالتعب والسهل عليه ومساعدة المحتاجين إن وجدوا.

إن الحكاية التي أدخلتها الكاتبة من صنع خيالها لا أساس منها في الصحة وهذا من اجل إضافة نوع من التشويق والإعجاب لهذا العنوان الذي كان (قبل الحكاية) فتدخل القارئ في نوع من الخيال وتبعده عن الواقع والحقيقة لان الأحداث والزمن والمكان والشخصيات خيالية لا توجد في الواقع فيكفي لامرأة منن سلالة آدم وحواء أن تجد الجنيين لا وجود لهما ولم تراهما في الأصل وكيف لمخلوقات كهذه أن تكون طيبة وتمشي على قواعد الإنسان التي هي دوما في تغير وكما قالت في الأخير الكاتبة التفريق بين الجسد والروح هو ضب من الخرافة فهذه الحكاية أيضا ضرب من الخرافة فلا يمكن للعقل البشري التصديق والتعايش معها.

وفي حكاية أخرى نجد أيضا نوع من الخرافة في حكاية دارت بين رجل والعصفور، حيث تسرد الروائية على لسان أحد الشعراء: "... **قبل ذلك دعيني اروي لك قصة، قصة صديق قديم لا ادري كان حيا أم لا، تصوري انه كان يسير والعصافير تتبعه حتى انه تأخر عن موعد العمل، وبينما كان ينتظر توبيخات المدير وتهديداته حطت العصافير على كتفيه فسأله المدير: ما هذا؟ فرد هو الحب أنت ترى هذه المخلوقات تبني وهكذا انقدت العصافير صديقي...**" [1]

فندرك ان حكاية هذا الرجل عن صديقه خرافة وحقيقة في نفس الوقت فيمكن بالمودة والرحمة التي رأتها العصافير في ذلك الرجل المسكين الذي ساعدها في وقت الحاجة أرادت

[1]– سامية بن دريس، بيت الخريف، ص81

أن تكافئ هي في المقابل لأن الحب والعطف والطيبة استطاع أن يحن قلب المدير ويسامحه على تأخره بفصل العصافير.

ومن جانب آخر هناك نوعا آخر من الحكاية وهي المبنية على أحداث خرافية وغير حقيقية في صورة حيوانات أو أشجار تتحدث وتتفعل وتقوم بأشياء تشبه الإنسان في بعض الأحيان وهذا الصنف كان متداول في لتراث الشعبي الجزائري العريق ومما نجد أن الكاتبة وظفته في بعض مقتطفات الأولى من الرواية حيث كانت تسرد عن حكاية الجن الأسود والجن الأبيض اللذين أحبا امرأة من سلالة آدم وحواء وكيف كان يراها كل واحد منهما ولكن في آخر المطاف المرأة تختار الجن الأبيض لحسن طيبته وهي تقول:

"**يحكى انه في قديم الزمان... أحب جنيان ولنقل أحب توأم من الجن امرأة، لسوء الحظ ان المرأة كانت من سلالة آدم وحواء، فكان عليهما أن يتبعا قانونهما الخاص،...فالأول كان يعرفها منذ طفولتها... كان جنيا مؤمنا مفعما بروح التفاؤل،... وهكذا اختارت أن تسكن مثلما ذكرت الفتاة حوراء الشجرة الوسطى بحيث تكون روحها للأول وجسدها للثاني معتقدة أنها حققت بذلك متعة عادلة بين الجنيين ناسية أنها عدالة مضللة لان التفريق بين الروح والجسد هو ضرب من الخرافة**"[1].

وكما وردت أيضا الكاتبة في نفس الرواية حكاية خرافية أخرى لتبرهن أن التراث الشعبي الجزائري مزدهر بهذا الفن الذي لطالما تداوله الناس فيما بينهم وهي حكايات غير حقيقية بل هي من صنع خيال هذا الكائن الذي كل رأى امر لخلق له قصة، أو حكاية يتماشى معه ومع مكوناته المتنوعة حيث يقول:

"**كان يا مكان في سالف العصر والأوان في قرية بعيدة منبع ماء احتله ثعبان عظيم.... فالثعبان متغول لا يمكن لأحد قهره إلا فارس سيأتي من بلاد الشمس... فمقابل**

[1]– سامية بن دريس، بيت الخريف ، ص13 14 15 16.

الماء سيقدمون له فتاة جميلة ليلتهمها. في مساء حزين كان الدور على ابنة شيخ القبيلة، وغطس دلو الماء في البئر... تقدم فارس وأشعل نار وشوى قطعا من اللحم مد الثعبان رأسه الأول فقطعه بسيفه الحاد... ثم تقدم نحو الفتاة وفك قيودها بدلا من العودة إلى بيتها تبعت الفارس..."[1].

فالخرافة تظهر في هذه الحكاية في كون أن الثعبان يأكل الناس ولكن في الحقيقة أن الثعبان لا يستطيع أن يلتهم كل البشر وان هذا الثعبان يتحدث ويختار ما اعجبه من الفتيات وكما أن بلاد الشمس لا وجود لها في الأساس وفي الواقع وكما الثعبان له راس واحد وليس سبعة رؤوس كما ذكرت ووردت الحكاية فكانت تستعمل من اجل الترفيه عن الأولاد ويجعلوها يستعملون خيالهم من اجل التفكير فيها ويحلمون فيها.

ت/ **اللغة العامية:**

تعتبر اللغة العامية اللهجة المنطوقة على السنة معظم الناس خصوصا ذوي الثقافة الدنيا أو غير المتعلمين ونقيضها الفصحى الدارجة وهو مصطلح يطلق على اللغة المتداولة بين أفراد شعب، وغالبا ما تكون اللغة الفصحى مكونها الأساسي إضافة إلى بعض الكلمات الدخيلة من لغات أخرى أو مستحدثة محليا، أو تعريف لبعض ألفاظ اللغة الفصحى

واللغة العامية هي **تلك "اللغة التي تستخدم في الشؤون العادية، والتي يهتم الحديث اليومي ويتخذ مصطلح العامية أسماء عدة عند بعض اللغويين المحدثين كـ "اللغة العامية" و"الشكل اللغوي الدارج" و"اللهجة الشائعة" و"اللغة المحكية" و"اللهجة العربية العامية" و"اللهجة الدارجة" و"اللهجة العامية" و"العربية العامية" و"اللغة الدارجة" و"الكلام الدارج"**

[1]–سامية بن دريس، بيت الخريف، ص32.

و"**الكلام العامي**" **ولغة الشعب**"[1] أن ظاهرة وجود العامية إلى جانب اللغة العربية الفصحى ظاهرة لغوية في جميع دول العالم ولكل منها مجالاته واستعمالاته.

وبعبارة أدق يطلق لفظ العامية على ما يقابل الفصحى، ويعنون به ما شاع استعماله عند العامة، فهي إذن اللغة الفصحى فقدت تجزؤا من خصائصها النحوية والصرفية بفعل آثار التطور الصوتي والدلالي، والتخلص احدى الباحثات إلى أن العامية هي: "**لغة العامة أنشأتها لمسايرة أوضاعها المختلفة أما اللهجة فهي تأديات مختلفة للعامية**"[2] ومن هذين التعريفين يتبين لنا اختلف مفهومه، فهناك من يراها أن الكلمة مأخوذة عن الفصحى، كما يعتبر أيضا لهجة حية ومتطورة.

يرى **أنيس فريحة** : "**أن العامية لغة قائمة بذاتها متطورة نامية، تتميز بجميع الصفات التي جعل منها أداة طبيعية للفهم والإفهام وللتعبير عن دواخل النفس، وان لها قواعدها وأصولها، وإذا شذ عنها شاذ فكأنما خرج عن طريقة مقررة**"[3] أي أن مصطلح العامية قد يتداخل مع مصطلح اللهجة، حتى أن هناك بعض الباحثين والدارسين يطلقون على تسمية العامية بلغة لهجات المحادثة التي لا تخضع إلى قوانين وضوابط تحكمها لأنها تلقائية تتغير تبعا لتغيير الأجيال والظروف المحيطة بها ولنوضح الرؤيا اكثر نقوم بتحديد مصطلح اللهجة لمعرفة مدى تداخل المصطلحين من ناحية المفهوم

لقد بينت رواية (بيت الخريف) بعض النماذج التي تدل على اللغة العامية والتي تتمثل في:

---

[1]– إيميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، لبنان، ط1، ، 1982، ص144–145

[2]– احمد زغب، لهجة وادي سوف دراية لسانية في ضوء علم الدلالة الحديث، مطبعة مزوار، الوادي، ط1،2012، ص19–20

[3]– ينظر: أنيس فريحة، اللهجات والأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، ط1 ، 1989، ص97–98

–الكسكس: تدل في العامية والفصحى على المعنى نفسه وهو طعام يعمل من الدقيق وهو مشهور عند العامة والخاصة من الناس تقول: "**اختاري الكسكس أم نيتشه**"[1]

"خبز": وهو الخبز المعروف سواء كان خبزا يصنع في الديار أو الخبز الذي يشترى جاهزا وهو نفسه في الفصحى مثلا :

"**أنا لا أقامر بخبز أبنائي**"[2].

استخدمت الكاتبة في روايتها مجموعة من المصطلحات تنتمي إلى اللغة العامية التي هي جزء مهم من التراث الشعبي الجزائري يوظفها كل الناس في حياتهم اليومية.

"**خافي ربك**"[3] والمقصود في هذا القول إن الإنسان عند ارتكابه لأن خطأ يقال له هذا القول، لأن الخوف من الله يجعله يبتعد عن المعاصي والمنكر ويتوب إليه بالأعمال الحسنة وذلك بالطاعة والصلاة عليه فهو السبيل الوحيد لنيل أفضل درجات الجنة والعيش فيها بكل هناء

"**الزمان الحلوف**"[4] : أي أن الزمان الحالي يعتبر زمانا غدارا ولا يؤمن عليه إذ أن الأبناء يرومون أولياءهم داخل مراكز العجزة رغم تعبهم عليهم وقساوة الحياة عليه إلا أن اليوم ليك وغدا عليك.

"**الله يطول عمرك**"[5]: هي جملة تستعمل بكثرة ولها آثار إيجابية في نفس المخاطب فهو دعاء يجلب الخير والبركة لصاحبه فيقال هذا الدعاء عندما يكون الإنسان أخلاق فضيلة

[1]– سامية بن دريس، بيت الخريف، دار ميم للنشر ، الجزائر ، ط1 ، 2018، ص53

[2]– المصدر نفسه، ص45

[3]– المصدر نفسه ، ص41

[4]– المصدر نفسه ، ص48

[5] – المصدر نفسه ، ص 42

فيجاز عليها وينال بذلك الرضى وكما تقال أيضا عندما تكون الأعمال والأفعال حميدة كالصلاة والإيمان بالله تعالى.

"**الدنيا دوارة اليوم الدور علينا وغدا عليهم**"[1] والمقصود بهذا الكلام هو إن من يعمل خير يلقاه ومن يعمل شر يلقاه أي كما تدين تدان ويظهر ذلك في الرواية عن ابن يامنة وزوجته لما أكلوا كل مالها ورموها ووضعوها في دار العجزة .

ث/ الخطاب الشعري:

يعد الشعر من الفنون الأدبية التي عرفها الإنسان منذ الأزل ومنذ القديم فهي ليست بقضية جديدة بل ظهرت جذوره في العصر الجاهلي فيعرف بأنه كلام موزون ومقفى ذو معنى ومغزى ولقد نظمه صاحبه ليبلغ أغراض أدبية كثيرة مختلفة وكما يمثل صورة الحياة الإنسانية حيث يعبر به الشاعر عن أفكاره وعواطفه من خلال نسج أبيات شعرية من كلمات المناسبة الجميلة وكل في قطعة موسيقية تدعى بالقصيدة التي تتكون صدر البيت وعجزه في الدراسات الحديثة نجد أن الشعر أصبح له مكانة في الأنواع الأدبية الأخرى ولم يعد يشمل القصيدة لوحدها بل تسج أيضا في الأعمال الروائية وهذا من اجل خلق رواية حديثة تسير مع سيرورة التقدم والإبداع وتتجاوز بذلك المعتاد من حيث الشكل والموضوع والمضمون.

تشهد الرواية الجزائرية المعاصرة ظاهرة تداخل وتفاعل بين الخطاب الروائي والفنون بأنواعها اللغوية ومن بين الروائيين الجزائريين نجد(واسيني الأعرج)في روايته(رماد الشرق) حيث أضفى عليه بعض المقاطع الشعرية إذ" **يعد تضمين الشعر داخل الرواية شكلا من أشكال التحاور بين الألوان الأدبية وهو في الوقت نفسه وسيلة من الوسائل المتحددة التي تكسر رتابة السرد كما يمكنها تشكل ملمحا ميتاقصيا سواء كانت منسوبة إلى شاعر آخر كشكل من أشكال التناص أو شاعر له حضوره الداخلي كشخصية من شخصيات**

[1]– سامية بن دريس، بيت الخريف ، ص47

الروائية"[1].

إن هذه الطريقة الجديدة في البناء الروائي والشعري يعطي لكلاهما الانسجام والترابط، فأصبحت الروائية الحديثة شعر غير منظور ولا موزون يلبي متطلبات العصر فتغيرت نظرة الشاعر إلى الإبداع الفني أي أن الشعر وسيلة حتمية لتحسن الأسلوب واللغة في الكتابة الروائية لذا نجد تغيير في تسمية هذا العنصر حيث أصبح يطلق عليه (بشعرية الرواية) وهذا ما أشار إليه (محمد عبد الحليم غنيم) حيث يقول : تدل على ذلك المجموع من التقنيات التي يخرج بها من عاداتها الموروثة وتصبح لغة النص هائجة ومفاجأة ومراوغة، فهي تجمع بين كل عناصر الحياة المختلفة وتعمل على إعطاء نغمة موسيقية لرواية، فلا ربما هذه الطريقة الجديدة لرواية الجزائرية المعاصرة تساعد على تقريب المعنى ووضع المتلقي في صورة الموضوع الذي بصدد التدوين فيه[2].

فندرك أن الرواية الجزائرية المعاصرة امتزجت بين الماضي والحاضر في توظيفها لشعر الجاهلي والشعر التفعيلة الذي ينتمي إلى العصر الحديث وهذا عن طريق السرد والبوح عن الأفكار والمعارف بطريقة مغايرة.

لم تخل الرواية من التجديد والانفتاح على مختلف الأجناس الأدبية من الحكاية والقصص والشعر والموسيقى، وبهذا تكون الرواية عن الكتابة القديمة التي كانت تتقيد بقواعد ضرورية في التدوين، ولكن هده الفنون بخصائصها المثيرة أضفت عليها نوعا من الجمال والتأثير في القارئ ، وترسم لوحة روائية تتمازج فيها جميع هده الأنواع ، فجعلت من الرواية جسدا حيا نابضا بالحياة مستقبل لكل ما هو جديد. وهذا جاء استجابت لمتطلبات الرواية الحديثة أو ما يعرف بالتجريب الروائي.

---

[1] محمد حمد، الميتاقص قي الرواية العربية(مرايا السرد النرجسي)، مجمع القاسمي للغة العربية أودابها ، أكاديمية القاسيمي(ج. م) باقة الغربية ط،20111، ص140.

[2] – ينظر : محمد عبد الحليم غنيم ،الفن القصصي عند فاروق خورشيد ،دراسة نقدية ، رسالة دكتوراه ، جامعة المنصورة، قسم اللغة العربية (2001–2002) ، ص125

لقد استمدت الكاتبة (سامية بن دريس)هذه المقومات وأمزجتها في روايتها في مختلف صفحاتها، ويتجلى دلك في عنوان(جوقة الليل)، حيث أن البطلة(ماجدة)تظهر لنا أنها تميل إلى قراءة الشعر وتستهويه، في نهاية النهار تلتقط كتابا بطريقة عشوائية من مكتبتها، ففي هده المرة" فتحت الصفحة تجد ديوان طاغور ترجمة محمد خليفة التليسي الذي يقول:

-البخور يذوب ليتحلل في العطر.

-والعطر يذوب لكي يلتحم بالبخور.

-والنغم يسمى لمعانقة الإيقاع.

-بينما يعود الإيقاع متدفقا في النغم.

-والفكرة تبحث عن هيأتها في الصورة.

-والصورة تبحث عن حربتها في الفكرة.

-واللانهائي يبحث عن لهجة النهائي.

-والنهائي يبحث عن انعتاقه في اللانهائي.

-أي مأساة هده تجري بين الخلق والتدمير.

-وهده الحالة بين الفكرة ا ولصورة.

-العبودية تصارع الحرية.

- (والحرية تبحث عن راحتها في العبودية" [1].

يمكن القول إن(طاغور)استخدم ألفاظ وكلمات سلسة وسهلة الفهم على المتلقي حيث تتخذ موضوعا يتمثل الصورة والفكرة، ونلاحظ أنه لجأ إلى كتابتها على شكل أسطر التي تنتمي إلى نظام الشعر الحر الذي ظهر في العصر الحديث الذي لا يتقيد بأي شروط من الوزن والقافية، فتكون متنوعة، وكما نلاحظه فيه الأبيات.

مزج هذا الشاعر بين التكرار بعض الألفاظ كالبخور، العطر، الفكرة، الصورة ...الخ

[1]– سامية بن دريس، بيت الخريف، ص 26.

فأعطى نغمة موسيقية عذبة يشعر بها القارئ فتجلبه إلى المتعة والراحة.

ونرى أن الكاتبة تعرف عن نفسها من خلال هدا العنوان– جوقة الليل – وأسقطتها على البطلة بأنها تميل نوعا ما إلى الشعر فعندما تذهب لنوم تستقبل مجموعة من الشعراء القدماء الذين ماتوا فتكون حوار متبادل بينهم، وتحكي عن حبها لهدا الفن في قولها:

...نستسمحك أيتها الغالية، ما باليد حيلة كان علينا زيارتك فالدور دورك، ببساطة نحن شعراء، الشعراء الذين لا يؤذون أحدا، أقصد الشعراء الذين غزلوا حريرهم من أجل النساء وحدهن ، أنظري إلى ذلك الذي يجلس تحت الضوء مباشرة ذاك هو امرؤ القيس ...، فأنت شاعرة كما قيل لنا ... دعيني أعرفك ببقية أعضاء الجوقة ، أنظري إلى ذلك الجالس بجوار امرئ القيس ... هل عرفته؟ ذاك صاحب عبلة، أحسنت ذاك عنترة، هاتي ما يعجبك من أقواله، رددت أول ما خطر على بالي:

فوددت تقبيل السيوف لأنها

لمعت كبارق ثغرك المتبسم[1]

باعتبار ماجدة الشاعرة مثل هؤلاء الشعراء الذين دخلوا إليها، فدار حوار بينهم على فن الشعر، واستطاعت أن تنسجم معهم ببساطة وتتعرف على الدين قدمهم لها القائد. إضافة إلى تقديم مقطع شعري يبرهن لهم أنها أيضا تعرف الشعر وتستذكر به الحياة الجاهلية ومرحلة القتال والمعارف التي كانت تجري، وكيف كانت السيوف تلمع من دماء القتل والجثث وكيف كان الزعماء يخوضونها بكل عزم وهمة.

ففي كل عنوان(جوقة الليل)الكاتبة تستمع للشعراء وتتحاور معهم مرة مع الخنساء ومرة نساء الحليم ومرة أخرى نزار قباني، وكل ذلك في جو شعري بكل أنواعه العمودي في عبلة وعنترة وشعر الحر في البقية.

[1]- سامية بن دريس، بيت الخريف، ص 26–27 .

خاتمة

رصدنا في الخاتمة، أهم الملاحظات والنتائج التي توصلنا إليها :

*-على الرغم من التطور الذّي واكبه الإنسان عن طريق التكنولوجيا، إلا بقى دائما متمسكا بجذوره الأولى والأفكار والقيم والمفاهيم التي استقاها من الأصول.

*- يعد التراث مخزونا معرفيا وثقافيا وفكريا يشمل جميع الثقافات المتمثل في العادات والتقاليد والأمثال المتوارثة سواء المكتوبة ، أو عن طريق ما تزخر به شفاهية المجتمع .

*-عمدت (سامية بن دريس) إلى توظيف الموروث الشعبي في روايتها للتذكير بأهميته ليبقى راسخا في الأذهان.

*-تطرقت الكاتبة إلى موضوع حساس متمثل في مكانة المرأة في المجتمع عندما تظهر عليها علامات الشيخوخة ، وكيف تصبح وجيدة، ترمى في دار العجزة دون رعاية من ذويها.

*-إن فن الرواية قادر على طرح أعقد الرؤى وأخصب القضايا بصورة واعية من خلال علاقة الحدث بالواقع.

*-يوحي عنوان المدوّنة إلى عدة مفاهيم منها، أنه يعبر عن موضوع الشيخوخة، وهو الموضوع المحوري الّذي تكرر بكثرة ، حيث إن الذي يتم التخلي عنه ، يصبح عاجزا عن القيام بأبسط حاجياته الضرورية، تموت فيه كل أوراقه العضلية والجسدية والعقلية، ليعيش تائها في دوامة من الحزن والألم حتّى تنتهي حياته. هذا إلى جانب انفتاح الرواية على الخطاب الشعري في بعض مقتطفاتها، وهو أمر مهم، مندرج في الرواية المعاصرة، حيث حاولت أن تذكر المتلقي بالعصر الجاهلي الذي لم يعد له مفعول على الرغم من ثراء مادته التراثية الشعبية، وهذا كله بفضل الفطنة إلى أهمية تفاعل الأجناس الأدبية، وتجاوز المسلمة التي سادت حقبا من الزمن مفادها أن نقاء الجنس الأدبي حتمية روحية وفنية وجمالية .

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر : سامية بن دريس ، بيت الخريف ، دار ميم للنشر ، الجزائر ، ط1، 2018

المراجع:

1. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007
2. احمد اسعد سامية، في الأدب الفرنسي المعاصر الهيئة المصرية النعامة، القاهرة، 1978
3. احمد رشيد صالح، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، ط3، 1971
4. احمد زغب، لهجة وادي سوف دراية لسانية في ضوء علم الدلالة الحديث، مطبعة مزوار، الوادي، ط1،2012
5. احمد صالح رشدي، الأدب الشعبي، دار المعرفة للنشر، بيروت، ط1،1954
6. احمد مرسي، الأغنية الشعبية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، القاهرة، 1968 .
7. احمد منور، الأدب الجزائري المكتوب بلسان الفرنسي (نشأته، وتطوره وقضاياه)، دار التنوير للنشر والتوزيع، ط1، 2013
8. احمد ناهم التناص في شعر الرواد، دار الآفاق العربية القاهرة، مصر، ط1، 2007
9. ألكسندر هجرتي كراب، علم الفلكلور ترجمة أحمد رشي صالح، وزارة الثقافة المصرية، مؤسسة التأليف والنشر، دار الكتاب، القاهرة ،1996
10. أنيس فريحة، اللهجات والأسلوب دراستها، دار الجيل، بيروت، ط1، 1989
11. إيميل بديع يعقوب، فقه اللغة العربية وخصائصها، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان ، ط1،1982

12. بلحيا الطاهر، التراث الشعبي في الرواية الجزائرية
13. جعفر بابوش، الأدب الجزائري الجديد التجربة والمال، مركز البحث في الأنثروبولوجيا، وهران، 2006
14. الجوهري محمد، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبية، دار الكتاب للتوزيع، القاهرة، 1978
15. حفيظة عياشي، الجزائر تيور، حوار اجري مع بشير مغني يوم 2012/01/29 وتم الرجوع اليه يوم 2019/07/12 على الساعة 20:00
16. حلمي بدير، أثر الأدب الشعبي الحديث، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، ط2، 2002
17. رابح العوبي، أنواع النثر الشعبي، منشورات جامعية باجي مختار، عنابة
18. زكي مبروك، المدائح النبوية في الأدب العربي، منشورات المكتبة المصرية، بيروت، ط1، 1935
19. سعيدي محمد، الأدب الشعبي بيمن النظرية والتطبيق، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر
20. سي كبير احمد التجاني، الحكاية الشعبية في منطقة ورقلة، مجلة الأثر جامعة قاصدي مرباح ورقلة، عدد 19، 2014
21. السيد مهد نقي الحكيم، الأصول العامة للفقه المقارن، ، مؤسسة آل البيت عليهم السلام للطباعة والنشر، الأندلس، ط 2،1969
22. الشريف عبيلة، الرواية والصنف، جدار الكتاب العالمي للنشر والتوزيع، ط1،2010
23. صالح خرفي، شعر المقاومة الجزائرية، المؤسسة الوطنية لنشر والتوزيع، الجزائر، 1981

24. عائشة بنت يحي الحكمي، تعالق الرواية مع السيرة الذاتية (الإبداع السردي انموذجا، ط1، دار الثقافة للنشر، القاهرة، 2006
25. عباس الجراري ، الأدب المغربي من خلال ظواهره وقضاياه، ط2، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء ، المغرب، 1982
26. عبد الحميد بورابو، البطل الملحمي والبطل الضحية في الأدب الشفوي الجزائري، دراسات حول خطاب المرويات الشفوية، الأداء، الشكل، الدلالة، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون، الجزائر، 1998
27. عبد الحميد بورايو، الأدب الشعبي الجزائري، دار القصبة للنشر، الجزائر، 2007
28. عبد الحميد بوسماحة، توظيف التراث الشعبي من روايات عبد الحميد ابن هدوقة
29. عبد المالك مرتاض، العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى،
30. عبد الملك مرتاض، في نظرية الرواية، (بحث في تقنيات السرد) سلسلة عالم المعرفة، الكويت، 1998
31. عزز الدين المناصرة، علم التناص المقارن (نحو منهج عنكبوتي تفاعلي) دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، دار البيضاء، ط1 ،2006
32. علي نجيب إبراهيم، جماليات الرواية، دار الحوار للنشر،سوريا، ط1987،1
33. غياث بوفلجة، القيم الثقافية والتسيير، دار العرب للطباعة والنشر، 1998
34. فارح مسرحي ،السلطة ورمزية التراث لشفوي، الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، ط1،
35. فاروق احمد مصطفى ومرفت العشماوي عثمان، ،دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية للنشر والتوزيع، الإسكندرية، ط1، 2008
38- فاروق أحمد مصطفى ومرقت العشاوي ،دراسات في التراث الشعبي ، دار المعرفة الجامعية ،الإسكندرية ، ط 1، 2008

39- مصطفى احمد مصطفى، المواليد (دراسة لعادات والتقاليد الشعبية في مصر)، الهيئة المصرية للكتاب، 1980

40-فاروق أحمد مصطفى، ومرفت العشماوي ، دراسات في التراث الشعبي، دار المعرفة الجامعية ، الإسكندرية ، ط1 ، 2008

41-فراس السواح، دين الإنسان بحث في ماهية الدين ومنشأ الدافع الديني، دار علاء الدين، دمشق، ط2002،4

42-محمد الجوهري، علم الفلكلور، دراسات في الإثنوغرافيا الثقافية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية ، ط1 ، 1986

43-محمد الجوهري ،علم الفلكور، لدراسة في الاثنوغرافيا الثقافية) الجزء الأول، سلسلة علم الاجتماع المعاصر، الكتاب السابع عشر،

44-محمد الجوهري، الدراسة العلمية للمعتقدات الشعبة، دار الكتاب، القاهرة، ج1، ط1، 1978

45-محمد توفيق أبو علي، الأمثال العربية والعصر الجاهلي ، دار النفائس للنشر، لبنان، ط1988،1

46-محمد رياض وتار، توظيف التراث في الرواية العربية المعاصرة اتحاد كتاب العرب، دمشق، 2000

47-محمد صفوت، الأمثال الشعبية، دار مصر للطباعة، مصر، ط1،

48-محمد عزام، النقد والدلالة نحو تحليل سيميائي للأدب، منشورات وزارة الثقافة، 1996

49-محمد مفتاح، تحليل الخطاب الشهري، استراتيجية التناص، المركز الثقافي العربي ، المغرب، ط3،

50-مكارم الغمري، الرواية الروسية في القرن التاسع عشر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأدب، الكويت، ط4، 1981

51- مهد مصطفى شلبي، أصول الفقه الإسلامي، دار النهضة العربية، مصر، ط 1،1986

52-نبيل حلمي شاكر، أمثالنا الشعبية، خطوات للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2004

53-واسيني الأعرج اتجاهات الرواية الجزائرية المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1986

54- المواقع الإلكترونية:

1.موقع: مميزات الفن الشعبي والفنون المدرجة ضمن إطاره، موسوعة الكويت العلمية، الجزء الثالث عشر، 2002، تم الإطلاع عليه يوم السبت 8 أوت 2019 على الساعة 23:15 الموقع : http://www.aspdkw .com.

2.قسم العلوم الاجتماعية، باتنة1،العدد19جانفي 2018 ثم التطلع عليه 20جويلية 2019على الساعة 16:30الموقعyahoe @ M .fareh

المصادر الاحتياطية للقانون، السنة الأولىLMD ،قسم البحوث العلمية والمذكرات ،تم التطلع عليه 8سبتمبر على الساعة01:33 الموقع hmps//eddirasa.com/ohoumsthrms

3.موقع وبكتيريا ،عادات وتقاليد سكان الجنوب الجزائري ،ثم التطلع عليه يوم الأربعاء 2019/08/14 على الساعة 22:47 الموقع Rttps://ar.m.wikipedia.ag.

4.موقع ويكيبديا، روائع التراث الشفهي اللامادي للإنسانية، ثم التطلع عليه يوم السبت 13جويلية 2019على الساعة 20:07 الموقع: https:.ar.m.wikipededia.org//

ملحق

سامية بن دريس من مواليد 16 جويلية 1971، كاتبة جزائرية من ولاية ميلة، تحصلت على وشاهدة الليسانس في الأدب من جامعة قسنطينة، وتعمل أستاذة في مادة الأدب العربي نالت شهادة دكتوراه في 17 جوان 2019 في النقد اللساني لدى سعد مصلوح جامعة قسنطينة، بدأت الكتابة الأدبية في مطلع التسعينات من القرن الماضي، لها عدة أعمال في مختلف الفنون من مسرح وقصة ورواية.

ملخص الرواية

تعد رواية بيت الخريف للكاتبة الجزائرية سامية بن دريس، الصادرة عن دار ميم في سنة 2017، عبارة عن حكاية المرأة المثقفة في مجتمع ذكوري، وكيفية تحالف الظروف السياسية والاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الجزائري.

فقد قدمت لنا الكاتبة بيتا يناقض معنى الاحتواء والدفء وتعمدت أن يكون للخريف بيتا يحميه، ففي البداية قدمت إهداء تهدي فيه (بيت الخريف) لوالدها، ثم سجلت حديثا للنبي محمد صلى الله عليه وسلم، ومقطعا للكاتب (غابريال غارسيا ماركير)، فقد عمدت الكاتبة على محاولة تشويشها للقارئ بخلط الخيوط بين الساردة والماجدة بطلة الحكاية أو الرواية ونفت أي رابط يربط بينها وبين شخصية القصة .

للبيت في الغالب باب ولرواية الخريف بابان نكتشف معهما ثقافتها الدينية والصوفية بمجرد أن نقرأ المدخل الأول المسمى (باب الولوج)، ستليه عتبة (الإشارة) فالكاتبة هنا لم تكشف نواياها، فإنها تحجبها دائما بالاحتمالات: "ربما نعم وربما لا "

يفتح الباب في الكتاب البيت تدخل بن دريس موضوعا هاما في حياة المرأة وهو نهاية لاحيتها الجنسية، وخصوبتها التي نفت بشكل منعرجا في نقاشات الأنثوية ونظرة الأخر لها، لكنها بكل الحذر، لا تتناوله إلا من كونه موضوعا اجتماعيا وأخلاقيا، ولا تفتح حروفها هذا الجرح الأنثوي في مواجهتها للطبيعة وجحود الذكورة.

يدخل بنا فصل (ما يمنة) آلما أخر من ألم الأنوثة وهو الوحدة بعد عمر طويل من انتظار، فيق طويل، الوحدة التي مازالت تجعل من المرأة كائنا صانعا للمحتالين باسم (الجن).

بعد خدمة العجائز المهجورات لم تفصح ماجدة عن جرح الهجران الذي لم تقدم له إلا سببا خارجيا؟ تمثل في معاناتها للقدر، فهي تنتظر عودة هادي كما تقبلت غيابه

وبهذا لا تقدم الكاتبة أي صعوبات واقعية، كأنما تجعل من كل ما سيحدث حلما، أو رحلة تشبه أعاجيب الجنيات في القصص الخيالية، لم تبدأ الكاتبة حكايتها بهذه المعرضة لحكايات ألف ليلة وليلة: "في ذلك العهد البعيد أحب جنيتان، ولنقل أحب توأم من الجن امرأة " ص 13، وهي تبدأ في فك خيوط نسيج حكايتها، على إعلان يأخذها إلى بيت في مدينة بجاية وكأنه عالم عجائبي، تبني فيه ماجدة علاقات ورقية تمعن في فصلها عن الواقع الحي.

لعل هذه السيطرة الهشة التي أعاقت الشخصيات عن النمو النفسي الطبيعي أو كبلت حزنا، لا تمنع في رأي من كون بيت الخريف تجربة جميلة في مدونة الكتابة النسوية، وأن كانت لا تدخل بها إلى البناء الصلب الذي اتكأت عليه الكاتبة شكلا. لتظل الحكاية رهانا تتقوى به الكتابة النسوية في الجزائر. فلا تغامر نحو التجريب والمغامرة غير محسوبة العواقب. سواء من حيث المواضيع المطروحة أم من حيث المرأة التي تتخذ بالكاتبة المواضيع المطروحة أم من حيث المرأة التي تتخذ بالكاتبة إلى خارج التسجيل إلى عمق الأحاسيس الصامدة الخرساء، أظنه رهان الكتابة.

فهرس المحتويات

شكر وعرفان

إهداء

مقدمة 1

مدخل: حضور الموروث الشعبي في الرواية الجزائرية المعاصرة

الفصل الأول:

مظاهر الهوية الثقافية

1/ المبحث الأول: التراث المادي 17

2/ المبحث الثاني: التراث اللامادي 22

الفصل الثاني:

التناصات الثقافية

المبحث الثاني: 50

أ/ الأمثال الشعبية 50

ج/ الحكاية الشعبية الخرافية 54

ت/ اللغة العامية: 59

خاتمة 66

قائمة المصادر والمراجع 68

ملحق 74

فهرس المحتويات 77

ملخص المذكرة: 79

ملخص المذكرة:

يتمحور بحثنا الذّي عنوناه (المكونات الثقافية لرواية بيت الخريف لسامية بن دريس)، حول الموروث الشعبي الذي يمثل جزء أساسيا في تكوين الهوية الثقافية للإنسان.

رصدنا في هذه الرواية موضوعا لطالما لقي رواجا في المجتمع الجزائري المتمثل في مكانة المرأة ووضعيتها عندما تنتهي صلاحيتها، وترمى في دار العجزة فلا أحد يسأل عليها، أو يهتم لأمرها. لتعيش هناك حالة في عزلة من الحزن والاكتئاب، تصف الروائية هذه الحالة المأساوية عن طريق الحكايات والقصص التي ترويها العجائز، أملا في إعادة الارتباط بالحياة حين كانت زاخرة.